الثقافة

فكرية جامعة
تصدر في دمشق

صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكّاش

الادارة والتحرير

ص.ب ٢٥٧٠
هاتف «٢٢٩٩٨٤»
دمشق - الجمهورية العربية السورية

REVUE

«AL_SAKAFA»

PROPRIETAIRE — DIRECTEUR EN CHEF

MIDHAT AKKACHE

DAMAS R. A. S.
B. O. P. 2570
Te L. 229984

تموز
١٩٧٨

إلى متى يا رهبان الفكر ؟

في زمن اصبحت فيه اللمه النظيفة أندر من مطر الصيف، واصبحت الاضواء مجانيه تسلط على من يستحق ومن لايستحق، وفي مرحلة نحن فيها أكثر ماتكون حاجة الى الفكر النقي الملتزم لايسعنا الا ان نهيب برهبان الفكر الذين اعتصموا في صوامعهم ان يخرجوا ، قائلين لهم :

الى متى هذا الصمت ؟ ولا نعدم قائلايقول:

لماذا نخرج في زمن ، العتمة فيه خير من مجانية الأضواء ؟ .. وردنا على هؤلاء ، هو أن مجرد خروجهم يجعل للأضواء قيمه حقيقية ويذهب عنها صفتها المجانية ، ودعوتنا هذه أمانة حملناها مؤمنين بأن الأذواق مازالت من الهجين، ومازالت ثقتنا كبيرة بأن الأضواء ذاتها تأبى الأن تتخير الأجمل والأعذب ولكن قادرة على فرز الثمين من الغث ، والأصيل ماحيلة الأضواء ، اذا خلت الساحة من فرسانها ؟

ومرة ثانية نهيب برجال الفكر الحق ، والأدب الحق ، والفن الحق ، ان يخرجوا الى النور وان يخلفوا صوامعهم التي جعلتنا على ما نحن عليه .

رئيس التحرير

شاعران عبقريان معاصران

ابراهيم طوقان و ابو القاسم الشابي

أغنيا الادب العربي بلغة الشعر القومي والانساني الخالد

فوزي علي رضا النحوي

ان دراسة حياة أي شاعر تحتاج الى روية لبيان صورة العطاء في الشعر وجماله الفني ، حتى يكون البحث موضوعيا نستخلص منه قوة الابداع في الآلية اللفظية ونبضاتها القومية ، ذلك مع مراعاة ظروف كل شاعر والمراحل التي مر بها ٠

ان حياة الشاعرين طوقان والشابي حافلة بظروف قاسية جداً تتشابه لحد ما في الموضوع والشكل ٠ فكل منهما قاسى وعانى ماعانى من المآسي ، ولكنهما صمدا امام ضواري التحديات وغنيا الأمة العربية بروائع الشعر النابض بالحياة ، بالكلمات المبدعة التي كان لايقاعها خلودها على مر الزمن ٠

ترعرع الشاعران في بيئة أدبية محافظة وكلاهما درس القرآن الكريم فاكتسبا لغة عربية قوية مما ساعدهما على ازدراد اللغة العربية وهضمها وترديد الشعر الخالد واحلالهما مكانة مرموقة في الوطن العربي وخارجه ٠ شاعران وجدانيان ، لكل منهما حس قومي فياض ، يزفران النقمة على الاستعمار وحب الوطن واستنهاض الأمة العربية وتحذيرها ٠

١ ـ ابراهيم طوقان

ولد ابراهيم عام ١٩٠٥ م في مدينة نابلس فلسطين واكبه المرض وهو في بطن أمه !! بسبب مرضها اثناء الحمل ، فرأى النور والآلام والأمراض والضعف ، فكان أصما والصديد غامر أذنه اليمنى ، يعيش آلام القرحة والتهاب الأمعاء والاسهال المتواصل ثم فقر الدم ومعاناة الحب ٠٠٠٠٠٠ أمراض مزمنة واكبته حتى وفاته ٠

تعلم في الابتدائي في نابلس وبيته ، ثم درس في مدرسة المطران بالقدس فالجامعةالأميركية في بيروت، وخلال سني حياته كان موضع المعالجة واجراءالعمليات الجراحية ۰

علم في الجامعة الأميركية في بيروت بعد ان تخرج منها عام ١٩٢٩ م وهو لامع في الأدب واللغة، ثم ترك الجامعة والتحق كمدرس في كلية النجاح في نابلس ، ترك الكلية ليعلم في الكلية الرشيدية بالقدس ، فاشتدعليه المرض واستقال وعزف عن التعليم نهائيا وذلك عام ١٩٣٢ ۰ وفي آذار ١٩٣٦ م عين مديرا لبرامج اللغة العربية في اذاعةفلسطين الحكوميةفبذل مجهودا ملموسا في عمله الجديد وبسبب مواقفه الوطنية ، أقالته السلطات البريطانية عن العمل في ١ - ١٠ - ١٩٤٠ ۰ غادر فلسطين الى العراق ليدرس هناك ، ولكن الدوائر الاستعمارية كانت له بالمرصاد فعين في دار المعلمين الريفية حيث الحر الشديد الأمر الذي ضاعف من آلام أمراضه فعاد الى القدس بعد ان عرج على نابلس وبعد معالجات متعددة في القدس وافته المنية في ايار ١٩٤١ ، وقد نعته الاذاعةفي القدس التي اقالتهواذاقته العنت والضيق ، فتحدثت عن فضله وخدماتهالىالأدب العربي ، وبذا يكون ابراهيم قد توفي وعمره ستة وثلاثون عاما ۰

كان شاعرا ملهما ، متوثب العاطفة ، صادقالوطنية ولم ينحصر نبوغه بالشعر فقط بل بالنثر أيضا ،غير أن شاعريته رفعت به الى مرتبة الشعراء العباقرة ، وكان شعره وحيا لايقوله الا بعد ان ترده خاطرةالشعر فيسكبه في لغة متينة ۰ كان ناقدا حسن الالقاءفصيح الكلام ،ضابطاً للفظ ،جميلالاداء يتأنىفي انشاده لشعر صوته جهوري يسحر السامعين ۰۰

ان امراضه المزمنة التي أضنت حياته وقضت عليه باكرا لم تكن حائلا دون التطلع الى آمال أمته ووطنه ومطامع الاستعمار في تهويد فلسطين عن طريقالارهاب الوحشي ، وكثيرا ما تأمل في نظراته الىواقع فلسطين وما ينتظرها من مستقبل تأمل الواعي لأساليب الاستعمار ، وقد وصف الأستاذ أنيس المقدسيالشاعر طوقان بقوله : « لعل شعر ابراهيم أحسن مرآة لحال فلسطين السياسية والاقتصادية في عهد الانتداب » ۰

في عام ١٩٢٨ استنهض الشاعر قومه قائلا :

كفكف دموعك ليس ينفعك البكاء ولا العويل
وانهض ولا تشك الزمان فما شكا الا الكسول ۰

وفي عام ١٩٢٩ خاطبالذين باعوا أراضيهمالشاسعة من خارج فلسطين والقلة القليلة من داخلها :

يابائع الأرض لم تحفل بعاقبة
ولا تذكرت ان الخصم خداع

وغرك الذهب اللماع تحرزه
ان السراب كما تدريه لماع

فكر بموتك في أرض نشأت بها
واترك لقبرك أرضا طولها باع

في عام ١٩٣٥ برزت شحنة غاضبةفي نفس ابراهيم على المتخاذلين من القادة العرب فقال :

لاتلمني ان لم أجد من وميض
لرجاء ما بين هذا السواد

ثم حذر قائلا :

اجلاء عن البلاد تريدو
ن فنجلو ، أم محقنا والازاله

وفي نفس المعنى يقول :

ياقوم ليس أمامكم ممن يلين ويرحم
ياقوم ليس امامكم الا الرحيل فحزموا

أما عن المخلصين فقال في عامي ١٩٣٣ - ١٩٣٥ :

رحم الله مخلصة لبلاد
ساوموه الدنيا فأباها

لو أتوه بالتبر وزن ثراها
لأباها وقال : أفدي ثراها

ويقول أيضا :

ما حسرتي الا على متعفف
يقوم لوجه الله بالنهضة الكبرى !

كان ابراهيم يقدر قوة الاستعمار فازدادت نقمتـه عليه ولام العرب الذين خدعوا أنفسهم عن طريق مماطلة الانجليز في المسالة والسياسة فقال عام ١٩٣٢ ـ ١٩٣٥

نبئونـــي عـــن القـــوى ، متـى كـــا
ن رحيماً ؟ هيهـات مـــن عـــز تـــاهـــا

لايليـــن القـــوي حتـــى يـلاقـــي
مثلـــه عـــزة وبطشـــاً وجـــاهـــا

لقد أبدع ابراهيم في التهكم ونقد زعماء العرب ومنبها محذرا في الوقت ذاته فقال عال ١٩٣٥ :

أيهـــا المخلصـــون للـوطنيـــة
أنتـــم الحاملـون عبـــء القضيـــة

وبيـــان منكـــم يـــرد علينـــا
غابـــر المجـــد مـــن فتوح أميـــة

ماجحدنـــا مـــن أفضالكـــم غـــير أنـــا
لـــم تـــزل فـــي نفوسنـــا أمنيـــه

فـــي يدينـــا بقيـــة مـــن بـــلاد
فاستريحـــوا كـــي لاتطـير البقيـــه

وأبلغ ماقاله ابراهيم نتيجة يقظـة فكرية سياسية واعية في تحذيره العلني عن مصير فلسطين والوطـــن العربي ، فقال عام ١٩٣٥ :

أمـامـــك أيهـــا العربـــي يـــوم
تشيـــب لهولـــه ســـود النواصـــي

مصـيرك بـــات يلمسـه الأدانـــي
وســـار حـديثـــه بيـــن الأقاصـــي

فـــلا رحـب القصـــور غـدا ببـــاق
لساكنهـــا ولا ضيـــق الخصـــاص

وكان في عام ١٩٣٣ قد وجـه لوما الـى الصحافـة العربية وقادة العرب فقال :

اخواننا أهـل الوفاء **أهـل المـــودة والولاء**
من كل قطـر بالعرو **بة ذي ازدهار وازدهاء**
أحبابنـــا لا تخدعـــوا **عنـــا بظاهـرة الثراء**
عرضت لكم خلف الزجا **ج تميس في حلل البهاء**
هيهات ذلـــك ، ان فـــي **بيع الثرى ، بيع الثراء**
فيه الرحيل عن الربـــو **ع غـــداً سأنبذ بالعراء**

أما عن الصحافة فقال :

للحـــق سطـــر فـي صحـــا **فتنـــا وللتضليل نهـــر**
تلك الصحافـــة كيميـــا **ء ،لهـا بخلق اللهسر!!**

اشتعلت في عال ١٩٢٩ ثورة البراق ، وألقي القبض على عدد كبير من الشبان منهم عطا الزير ومحمد جمجوم من الخليل وفـؤاد حجازي من صفد وقد حكم علـــى الثلاثة بالاعدام ونفذ يوم الثلاثاء في ١٧ ـ ٦ ـ ١٩٣٠ وكان ترتيب تنفيذ الاعدام أولا بفؤاد حجازي ثم عطـا الزير وأخراً محمد جمجوم ، لكن الأخير حطم قيـــده وزاحم رفيقه على دوره وشنق بعد فؤاد حجازي ٠ وقد أوحت بطولة الجمجوم الـى ابراهيم طوفان مشهـــدا مؤثرا أسماه (الثلاثاء الحمراء) مقارنـــا بالمظالـم الانسانية التي مرت بتاريخ الانسانية ، فأنشد قائلا :

يـــوم أطـــل علـــى العصور الخاليـــة
أمـــر علـــى الـــورى أمثاليـــة

فأجابه يـــوم : اجـــل ، أنا راويـــه
لمحاكـــم التفتيش تلـــك الباغيـــة

أما الساعة التي شنق فيها محمد جمجوم فقد قـال فيهـا الشاعـر :

أنـــا ساعـــة الرجـــل العتيـــد
أنـــا ساعـــة البـــأس الشديـــد

انـــا ساعـــة المـــوت المشـــرف
كـــل ذي فعـــل مجيـــد

بطلـــي يحطـــم قيـــده
رمـــزاً لتحطيـــم القيـــود

وهنالك حادثة أثرت في نفس الشاعر وهي قصة شاب مجاهد أراد ان يغتال نورمان نبتويش اليهودي البريطاني الجنسية وقد أمعن في عرب فلسطين في النكاية وكان مسئولا عن التشريعات الجائرة التي أضرت بالشعب خدمة لقيام الكيان الصهيوني ، غير ان الشاب أخفق في قتله بعد ان اطلق النار عليه وجرح، وقد نظم الشاعر شبه موشح بالحادث أسماه (الفدائي) وقد قال الموشح الشاعر بشارة الخوري : « أتعرف شيئاً عن الشاعرية المتوثبة التي تجيش بها النفوس الظمأى الى حرياتها ، ثم اتعرف شيئاً عن البلاغة التي تطلقها الشفاه الملتهبة دماً ونارا ؟ ، تعرف عليها اذن . وفيما يلي أبيات من الموشح الذي نظمه الشاعر طوقان:

لاتسل عـن سلامته ... روحـه فـوق راحتـه
بـدلتـه همومـه ... كفنـاً من وسادته
من رأى فحمه الدجى ... أضرمت مـن شرارتـه
حملتـه جهنـم ... طرفـاً مـن رسالتـه

. . . . . .

صامت لـو تكلما ... لفـظ النـار والدمـا
قل لمن عـاب صمته ... خلـق الحزم أبكمـا

وفي عام ١٩٢٤ كانت مراكش الاسبانية في ثورة لاهبة على المستعمرين بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي فأنشد الشاعر نشيداً رائعاً وهذه أبياته منه :

في ثنايـا العجاج ... والتحـام السيوف
بينمـا الجـو داج ... والمنـايـا تطـوف
يتهـادى نسيـم ... نحو عبد الكريـم
حامـلا أزكى تحايـا المشرق

ومن أشهر وأبدع اناشيد ابراهيم نشيد (موطني) الذي نظمه عام ١٩٢٤ ، نشيد خلد الشاعر وأصبح نشيداً قومياً للوطن العربي كله ومطلع النشيد :

موطنـي الجـلال والجمـال
والسنـاء والبهـاء فـي ربـاك

انه نشيد مشهور مازال يتردد على شفة كل مواطن عربي . وله أيضا نشيد خالد أيضاً :

وطني أنـت لي والخصم راغم
وطنـي أنـت كـل المنـى

وقد نظم الشاعر هذا النشيد ليغنى على نشيد انجليزي من اناشيد الجامعة الأميركية في بيروت التي تخرج منها .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الشاعر كان مطلعا على التوراة اطلاعا كاملا وافيا . وكان الشاعر اليهودي رؤوبين قد عير العرب بأصلهم من هاجر ووصفها بأنها جارية لسارا أم اليهود ، وقد نظم الشاعر طوقان قصيدة رد فيها على الشاعر ردا موضوعياً ومن التوراة بالذات . وكانت جريدة فلسطين قد ترجمت قصيدة الشاعر اليهودي . أما نص الرد الذي نظمه ابراهيم يبدو أنه قد فقد ولكن وجدت أبيات منه هي :

هـاجـر أمنـا ولـود رؤول
لاحسـود ولا عجـوز عقيـم
يوسف باعـه أبوكـم يهـوذا
ان حـب الدينـار فيكم قديم
شكسبيـر خالـد القـول فيكم
(امرشيلوخ) في الـورى معلوم
غير أن الذيـن منهـم شكسبير
تناسـوا مـاقـال ذاك العظيـم

وللشاعر طوقان قصائد متنوعة كالغزل والرثاء ، عزفت عنها وآثرت ان احصر دراستي في شعره القومي . واذا كان الشاعر قد عاش عذاب الأمراض الطاحنة غير أن عبقريته صمدت أمام الأحداث والأمراض المزمنة وانتج شعراً خالداً نابعاً من آلام وأمراض أمته ، وهكذا طويت حياة شاعر توجها بالكرامة وعزة النفس وبأصالته العربية العريقة التي انحدر منها .

٢ ـ أبو القاسم الشابي

ولد أبو القاسم في قريـة الشابية احدى ضواحـي مدينة توزر ببلاد الجريد جنوبي بلاد تونس في عـال ١٩٠٩ م ومن بلدته جاء لقب أسرة الشاعر ٠

نشأ في بيئة أدبية وفي رعاية والده الذي كان قاضياً شرعياً وتنقل في مختلف المدن التونسية حيث اكتسب أبو القاسم تجارب واسعة من خلالها تدفقت عبقريتـه الشاعريـة ٠

قال أبو القاسم عن والـده : « انه أفهمني معانـي الرحمة والحنان وعلمني أن الحق خير ما في هذا العالم وأقدس ما في هذا الوجود » ٠

في الخامسة عشرة من العمر عام ١٩١٤ درس في أحد الكتاتيب وحفظ القـرآن الكريم ٠ وفي عـام ١٩٢١ انتمى الى الجامعة الزيتونية في تونس وهي جامعـة عظمى لعلوم اللغة والدين وتخرج عام ١٩٢٧ وفي نفس العام التحق بكلية الحقوق التونسية ، وأثناء دراسته للحقوق اصطدم بثلاث صدمات عنيفات : زواج خائـب وحب دام ومـوت والده ٠ لم يكن موفقا في زواجـه فأحب فتاة ظن فيها تحقيق أحلامه لنكها توفيت فـي العام الذي أحبها ، انتقل من حب الى آخر ولعل ذلك كان في سبب دنو منيته ٠ وفي عام ١٩٢٩ م توفي والده قبل ان ينال اجازة الحقوق ، فكان موت والده كارثة كبرى بالنسبة اليه ، ومع أنه كان بحاجة الى المـادة بعد وفاة والده فقـد استطاع ان ينال الاجازة عـام ١٩٣٠ م ٠ قاسى مـن ضنك المعيشة وقسوة الأيـام ولكنهما لـم يمنعاه مـن ممارسة نشاطه الاجتماعـي والأدبي والسياسي ، ولم يلجأ الى العمل في الدولـة بل رضي بحياة متواضعة ٠

ان قسوة الأيام والظروف التي مرت بالشاذلي اوقعته في مرض شديد ، فيقول أبو القاسم كرو ان الشابي قد أصيب بتضخم في القلب بينما يقول محمد فهمي مؤلف الروائع لشعر الجيل ان الشابي مرض بالسل الرئوي ولما كان فقير الحال وفي الوقت ذاته يحتاج الى المعالجة والاخلاد الى الراحة فقد كان منتظرا موته في كل حين ولما أشتد عليه المرض نقل الى المستشفى الايطالـي وتوفي فيه عال ١٩٣٤ وبذا يكون قـد عاش خمسة وعشرين عاما ، وفي اليوم الثاني نقل الى بلدته الشابية ودفـن فيهـا ٠

لقد كان الشابي شاعرا وناثرا في الوقت ذاته ولـه آثار نثرية لم يطبع منها الا كتاب : (الخيال الشعري عنـد العـرب) ٠

ان الشابي شاعر فذ مضطرب ، لايعرف الأجنبية ، وقد تأثر بأحوال بلاده والاستعمار السياسي الها ممـا دفع به أن يشعر بشعور شعبه الفقير وذلك من خلال تطلعه الى نفسه بعـد ان توفي والده الذي لـم يكـن موسراً ٠ لقد كانت تونس تعانـي الظلم والاستبداد فنادى الى محاربة الاستعمار وحث شعبه الى النهوض وتحذيره أيضـا من أي تقاعس ٠ كان طموحا يعنـى بالحرية واعلاء كلمة الحق ٠

شاعر وجداني عبقري ، من جبابرة الأدب الرائـع العظيم يتصف بوحدة الموضوع كالشاعر طوقان ٠ وقد بلغ النضج في الشعر فـي الخامسة والعشريـن بالرغم مـن صغر سنه ، أي سنة وفاته ٠ وكان فـي شعره نزعة التحرر بمعنى اطلاق النفس على سجيتها ٠ وكان ناقما متمردا متشائما لحد ما ، وقد عبر فـي شعره عن آمال قومـه ووطنه والدعـوة الى الاصلاح والنهوض بالشعب ٠

آمن الشابي بالقضاء والقدر وخاصة بعد أن أخذت الأمراض تتآكل جسده وفي ذلك يقول في (نشيد الأسى)

مالي تعذبني الحيـا ة كأنني خلق غريب

واذا سألت : لم الوجو د وكله هـم مذيـب

قالت : نواميس السما ء قضت ومالك من هروب

وكلمة قالت هنا تعود الى الحياة ٠ انه ومع قناعته بالقضاء والقدر تمرد عليـه وفي أعماق قلبه قناعـة وجوده ٠ وفي ذلك يقول في قصيدته (نشيد الجبار):

سأعيش رغـم الـداء والأعـداء

كالنسـر فـوق القمـة الشمـاء

وأقـول للقـدر الـذي لاينثني

عـن حـرب آمالـي بكـل بـلاء

وقد دفع به التشاؤم ان يصف القدر بالشرلابالخير في قصيدة (أيها الليل) :

لاتحـــاول أن تنكـــر الشجـــو
اني قـد خبرت الحياة خبر أديـب

كـن كمـا شاءت السمـاء كئيبـاً
أي شيء يسـر نفـس الأريـــب

انه كماقلنا شاعر قومي يلتهب حماسا فينظم الشعر في لغة متينـة وأسلوب فني بديع وقـد ظهر ذلـك في قصائده القومية ، فيقول في قصيدة (زئير العاصفة)

ألا أيهـــا الظلـــم المصعـــر خـــده
رويـدك ان الدهـر يبنـي ويهـــدم

سيثـــأر للعـــز المحطـــم تاجـــه
رجـال اذا جـاش الـردى فهـم هـم

رجـال يـرون الـذل عـاراً وسبـة
ولا يرهبون المـوت ، والمـوت مقـدم

وفي قصيدته (الى الطاغية) يقول :

يقولون : صوت المستذلين خافـت
وسمـع طواغيـت التجبـر أضخـم

وفي صيحة الشعـب المسخر زعـزع
تنحـر لـه شـم العروش وتهدم

اذا التف حول الحق قـوم فانـه
يصـرم أحـداث الزمـان ويبـرم

لقد رثى الشابي حال وطنه دون يأس بـل واثـق بالمستقبل الذي سيرد لبلاده مكانتها فقال في قصيدته (تونس الجميلة) :

لسـت أبكـي لعسـف ليـل طويـــل
أو لربـــع غـــدا العفـــاء مراحـــه

انمـــا عبرتـــي لخطـــب ثقيـــل
قـــد عرانـــا ، ولم نجـد مـن أزاحـه

كلمـــا قـــام فـي البـــلاد خطيـــب
موقـــظ شعبـــه يريـــد صلاحـــه

أخمـدوا صوتـــه الالهـي بالعســـف
، أمـــاتـــوا صداحـــة ونـواحـــة

هكـذا المخلصون فـي كـل صـوب
رشقـــات الـــردى اليهـم متاحـــه

أنـا ياتونس الجميلـــة فـــي لـــج
الهـوى قـــد سبحـت أي سباحـــة

ضيـع الدهـر مجـد شعبـي ولكـــن
ستـــرد الحيـــاة يومـــاً وشاحـــه

وفي جانب آخر أنب شعبه تأنيب اللائم واستنهض همته في قصيدته (يا ابن أمي) فيقول :

خلقـــت طليقـــاً كطيـــف النسيـــ
ـم وحـراً كنـور الضحـــى فـي سماه

فمالـــك ترضـــى بـــذل القيـــو
د ، وتحنـــي لمـــن كبلـــوك الجبـاه

ألا انهـــض وســـر فـي سبيـــل الحياة
فمـن نـــام لـــم تنتظـــره الحيـــاة

وللشابي قصيدة رائعة قـــرع فيها الشعب وهـي (النبي المجهول) وفيها يقول :

في صباح الحياة ضمخت أكوا
بي واترعتها بخمرة نفسي

ثم قدمتها اليك فأهرق
ت رحيقي ودست ياشعب كأسي

ليت لي قوة العواصف ياشعـ
ـبي ، فألقي اليك ثورة نفسي

هكذا قال شاعر ناول الشعب
، رحيق الحياة في خير كأس

فأشاحوا عنه ومروا غضابا
واستخفوا به وقال بيأس

قد أضاع الرشاد في ملعب الجـ
ـن فيا بؤسه اصيب بمس

واذا كانت هذه القصيدة قد رفعت به الى مستوى الشهرة وهي قصيدة طويلة ،فقد غنى الشاعر الانسانية بقصيدة خلدته الى الأبد ألا وهي (ارادة الحياة) فقد غناها الشعب وترددت على كل شفة ولسان لانها كانت ومازالت درسا في الوطنية والقومية والتي مطلعها :
ومازالت درساً في الوطنية والقومية والتي مطلعها :

اذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر

انها نشيد قومي تصور عبقرية الشاعر التي تدفع الشعب دفعاً الى الطموح في الحياة وكفاحها ،والطموح في سبيل أمته وبلاده .

وهنالك قصيدة في الطبيعة والانسانية والقومية وهي (أغاني الرعاة) وقد نظمها في مشاهد رآها وعاشها وهو يستشفي في شمال جبال تونس الخضراء وقد درسها الشاعر السويدي كارل ألوف سفننغ فنقلها شعرا الى اللغة السويدية وهي قصيدة من الرباعيات يقول فيها :

أقبل الصبح يغني للحياة الناعسة
والربى تحلم في ظل الغصون المائسة
والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسة
وتهادي النور في تلك الفجاج الدامسة

وللشاعر قصائد كثيرة جداً تنم عن شعر وجداني وعذوبة وموسيقى وألم واندفاع وطني منها قصيدة (الثعبان المقدس) وهي قصيدة فلسفية تدور قصتها محاورة بين ثعبان وشحرور وتمثل القوي والضعيف ولعلها موجهة الى الاستعمار الذي يخنق الشعوب الضعيفة ، انها قصيدة طويلة يقول في بعض أبياتها :

الشاعر الشحرور يرقص منشداً
للشمس فوق الورد والأعشاب

شعر السعادة والسلام ونفسه
سكرى بسحر العالم الخلاب

ورآه ثعبان الجبال فنمه
مافيه من مرج وفيض شباب

ثم يقول :

فلتشهد الدنيا التي غنيتها
حلم الشباب وروعة الاعجاب

ان السلام ، حقيقة مكذوبة
والعدل فلسفة اللهيب الخابي

لا عدل الا ان تعادلت القوى
وتصادم الارهاب بالارهاب

كما للشاعر قصائد في الغزل ، انما ضربت صفحاً عنه أيضاً كما في غزل طوقان ،واستعرضت شعره القومي .

لقد نظم الشاعران العديد من القصائد مع قصر عمرهما وبالرغم من شدة الآلام المبرحة التي لازمتهما بل بالرغم من متاعب الفكر والمضايقات والتحديات التي واجهتهما ، وقد أكسب الله هذين الشاعرين المعاصرين عبقرية فذة تذكرنا بعبقرية الشاعر طرفه ابن العبد الذي نظم الشعر صغيراً وقتل في السابعة والعشرين من العمر أو دون ...

ان الشاعرين قد أعطيا الأمة العربية نفحات قومية معبئة بروح الجد وعمق الفكر والبصر النافذ والاحساس الواعي ، اعطيا عواطف دافقة بحب الوطن ، فطوقان نقم على الاستعمار الانجليزي والصهيونية والشابي نقم على الاستعمار الافرنسي . ولئن كان الاستعمار حاول فرنسة تونس وما احتله من شمالي افريقيا فقد قدر الله بارادة الشعب ان تنال تونس استقلالها ، أما الشعب العربي الفلسطيني فهو ماض في كفاحه وثورته مستمرة في النضال والتضحية ويأذن الله بعودة القدس عاصمة مقدسة لأمة العرب والمسلمين لها وحدتها الشاملة من المحيط الى الخليج .

■ فوزي علي رضا النحوي

الأمل الاخضر

محمد العيد الخطراوي

اذا ما أقبــل الليــل   واخفتنــــي دياجيــه
وراح مــا أقبل منتحرا   يئــن علــى حواشيــه
فــلا لحــن ولا وتــر   يخفــف مــا أقاسيــه
ولا نجــم ولا قمــر   يبــدد ظلمتــي فيــه
ذكرتك فانتشت روحي   وذابــت فــي اغانيــه

■ ● ■

وحين يدب فــي الأفق   شعاع البدر في ومــق
يضــم غلائــل السحر   ويلثــم جبهــة الغسق
ويفضــح مــا تخبئــه   عيــون الزهــر والورق
فعش الزهــر في عبق   وعــرش النور في ألق
أشيــم سنــاك منبعثاً   فاحمــد نعمــة الأرق

■ ● ■

وعنـد مشارف الفجر … وانسـام الصبا تسري
بانفـاس الشذا الريا … ن موجـات من العطر
وصوت البلبل الشادي … علـى افنانـه الخضـر
يضمـد بؤس ايامـي … ببلسـم لحنـه العذري
ألـوذ بصوتك الحاني … فيخصب بالمنى عمري

■ ● ■

وان شطت بي السبل … ومات بهدبهـا الأمـل
كمـا ماتـت محـاورة … بصـدر الغيب تعتمل
وراحـت فـي جوانبها … جراح اليأس تشتعل
واشـواقـي ممزقــة … تلـوح كأنهـا طلـل
ذكـرت هواك فالتأمت … جراحي وانتشى الأمل

■ ● ■

عرفت هواك في كبدي … حنينـاً مفـرط اللدد
كأن الروح مـذ خلقت … رأتـك بسالف الأمـد
فمـا فتئـت يؤرقهـا … بعادك فهـي فـي كمد
وتشقيهـا بواعثــه … فمـا تلـوي علـى أحد
لئن اشقيتنـي زمنـاً … سأسعـد فيـك للأبـد

بين الأدب والثقافة

بقلم : الأستاذ محمد حسن عواد

من الحسنات التي تحسب للخبرة بأصول التطبيق العلمي ، والخبرة بأصول المقارنة الدقيقة بين الأمور المتشابهة ، لا في مجالات الصناعات والفنون فقط ولكن حتى في المجالات الفكرية والنظرية ... تلك الخبرة التي تسمى « التقنية » أو التكتيك ، أو التكنولوجيا العامة .

من حسنات هذه الخبرة انها غيرت المفاهيم التي كانت مختلفة ومتداخلة ، وكانت تجعل المرء في حيرة من أمره ، وفي قلق من موقفه نحو تحديد الأفكار والمعاني والمضامين الفكرية التي يحتاج الى تحديدها ليهتدي الى استيعابها وتصورها بشكل تطمئن له نفسه كل الاطمئنان .

التكنولوجيا تغزو بلادنا

لقد دب دبيب هذه التكنولوجيا العامة في عالمنا العربي ، وأخذ طريقه الى الوضوح والاقناع مع مطلع هذا القرن العشرين الميلادي ، أي في أوائل الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري تقريبا .

ومشى هذا الدبيب في أذهان المفكرين ، والفنانين والمثقفين ، فأخذت الأشياء العقلية عندهم تجري في مجاريها الطبيعية دون غمغمة ، أو تجاوز ، أو مواربة .

ومن المجالات الهامة التي سلطت عليها اضواء التكنولوجيا العامة : المجالات الادبية ، والمجالات الثقافية ، ومجالات الفنون . وهكذا أعطى العصر المشار اليه مفاهيم دقيقة ، ومحددة لكل من الأدب والثقافة ـ مثلا ـ وهما المجالان المتداخلان ، اللذان سبق ان مثل في التفريق بين حقيقتيهما من كان يسير في سبيل تفهمهما على غير هدى ، أو على غير وعي ، يكشف له مواطن التشابه والاختلاط بين مفهوم هذه ومفهوم ذاك .

فكان معظم الكاتبين في وصف الثقافة ووصف الأدب وتعريفهما ، من الذين استعرضوا تاريخ حياتنا الفكرية الى ما قبل سبعة عقود من الزمن يعتبرون كل مثقف أديبا ويصنفون كل متكلف لصناعة الكلام أو مزوق لها ، في صنف الموهوبين ، ويطلقون على كل من يملك قوة الثرثرة يقتحم بها كل أفق اسم « مثقف » .

وكانت الحدود مطموسة بين مفهوم الثقافة ومفهوم الأدب ، وبين معالم الفكر ومعالم الفن ، وبين التخصص والمعرفة الموسوعية ، وبين الباحث على بصيرة ، وحاطب الليل .

كان هذا حتى وثبت العقول العربية منذ سبعين عاما بفضل التقنية العامة ، وثبة أمنا بمفهومها ، وشاركنا في انمائها ، وقلنا عنها : انها حياة جديدة لحضارتنا العربية العقلية تنبع من بلادنا ، لا من خارجها ، وتتفتح على آفاق واسعة من الفهم لم يكن ظهور البترول عندنا هو المسبب لها ، كلا ، وان كان لها بمثابة الورد يفرش في طريقها لتمشي عليه منتشية عطرة سائرة بين اضواء ومشجعات ومغريات بالمسيرة المطمئنة الصادقة المعتزة الآمنة قلنا عنها انها هي : « الوثبة التي كانت لنا بمثابة الألهام فهدتنا الى ان نقدر القيم العقلية والقيم الروحية والقيم السلوكية حق قدرها فنستخدمها صفارة انذار تهتف في اعماقنا : « من لم يمش يندثر » ، ومن

« عاش لنفسه خسر نفسه وخسرمن حوله من المعاونين»، و « من أدار وجهه الى خلفهوهو ماش في الطريق يرتطم بالمعوقات » ، بكل المعوقات التي تخلق الارتكاس في حياة الأفراد والجماعات ، هدتنا هذه الوثبة الى فهم الحق والعدل والأخلاص لأنفسناولمن حولنا ،والتسامح والأخاء والحرية والكرامةوالعمل السليم، فهماصحيحا استهدينا فيه فطرة الله التي فطر الناس عليها ، بدلا من ان نستهدي التقاليد المتخثرة التي ماأنزل الله بها من سلطان ، واستشرنا فيه ذواتنا ،وواقعنا ومصيرنا وحكمة الحياة ،بدلا من ان نستشير الأهواءوالعنجهيات والأنانية ، والمخاوف ، والمصالح الرخيصة الخاطئة .

ان هذا الحشد الذي قالوا لنا عنه من القصائد والأمثال والخطب والرسائل ، والمعلومات التاريخية المختصة بالعرب القدامى ، هو في حقيقته حشد يمثل ضروباً من المعرفة الذهنية العامة . فالذهن يستوعب هذه الأشياء ويحتويها كما يحتوي ويستوعب غيرها من ألوان الثقافات الأخرى من اللغة والشعر والفصاحة ، وان الذهن الذي يحتوي هذه الأشياء ويعرفها ، ويقف عندها لا يتعداها الى غيرها من فروع الثقافة أو من امتصاص فروع أخرى في مجالاتمختلفة ثم يشعر بأن مهمته الأدبية انتهت ، هذا الذهن لم يكن يوما ذهن أديب وانما هو ذهن مثقف ، والثقافة – في رأينا – غير الأدب ... الثقافة مهما تتعدد مذاهبها ومهما تتلون فروعها ، ومهما تتوالد وتتسع في الأذهان لاتخرج عنعملية عقلية نسميها عمليةالهضم والاحتواء . ولكن الأدب ليس كذلك ، الأدب ليس امتصاصا ، ولا هضما ، ولا احتواء ، ولو حفظ الانسان كل قواميس اللغة ابتداء بكتاب العين للخليل بناحمد الفراهيدي وانتهاء بقواميس المنجد والرائد والمعتمد من وضع لغوي العصر الحديث .

بين القديم والحديث

مفهوم الأدب في الماضي لايختلف مع مفهوم الثقافة (وهو مجرد التحصيل) .

أما في العصر الحاضر فان للأدب مفهوما آخر لأنهذا العصر امتاز بأنه عصر التحليل والتركيز والتبسيط ورد الأشياء الى أصولها ،واستيحاء هذه الأصولمعاني وأفكارا وصورا توائم طبيعة الأشياء .

اذ استنطق القارىء الحديث كتب الأدب القديمة ليتعرف منها على تعريف الأدب وجد تلك الكتب تكاد تجمع على ان الأدب هو الأخذ من كلشيء بطرف ، وهم يريدون بهذا التعريف ان الأدب هو حفظ قصائد معينة من الشعر ، ونصوص معينة من خطب البلغاءورسائلهم ثم الألمام بالتاريخ وقصص الحروب العربية في زمن الجاهلية ، وهي التي يسمونها « أيام العرب ». وحفظ طائفة من الأمثال ، ومعرفة قواعد النحو والصرف والأطلاع والتأثر بأساليب البيان العربي واشارات اللغة العربية في كتاباتها وألغازها .

هذا هو التعريفالقديم للأدب وهو كما يرى أدباء العصر الحديث غير صالح لأعطاء الفكرة المتكاملةللأدب وليست عناصر لتحقيق جوهر الأدب . بل ربما كانت اقل الوسائل شأناً ، فهناك وسائل أكثر منها أهمية مثل الايمان بصلة الأدب بالحياة ، والطبيعة والكون، لا بصلته باللغة فقط ، وقد جر هذا الفهم قدماءنا الى أن يقولوا أيضا ان الأدب من علوم اللغة ، وليس هو كذلك في واقع الأمر .

التعريف الصحيح

اذن ماهو التعريف الصحيح للأدب ، ماهي طبيعته، ماحقيقته ، وما مكانة في الحياة البشرية ؟

الأدب عطاء وانتاج وارسال وتأثير وخلق وابداع ، انه بالاختصار عملية تصوير وتغيير وتوعية وهدم وبناء وتجديد وتطوير ، واثراء ... لا عملية احتواء وامتصاص للمعلومات فقط .

ومن هنا يفترق الأدب والثقافة في المفهوم الحديث كما أشرنا الى ذلك • فنحن مثلا عندما نجتمع الى انسان يحوي هذه المعلومات الواسعة مع معلومات أخرى قد تتجانس معها ونستمع اليه فيروعنا علمه واستيعابه نستطيع أن نقول عنه انه شخص مثقف أو عالم ، ومتعلم ، وكفى •

ولكن عندما نتعرف على آخر ينقل تفكيرنا من أفق الى أفق ، ويغير اتجاهنا بما يطبعه في نفوسنا من تصور جديد لحياتنا ، وفهم مختلف للقيم أكثر انطباقا على حقائق الكون ، وأقرب صدقاً مع النفس نقول عنه انه أديب لاسيما اذا أدى الينا هذه العملية في بيان جذاب مقنع قادر على التأثر •

هذا وصف شامل لحقيقة الأدب يقرب الينا مفهومه في العصر الحديث • نعبر من هذا الوصف الى صياغة لتعريف الأدب ، في مفهومنا الحديث ، فنقول ان الأدب بأقصر عبارة ، هو حسن التنازل للأشياء » وليس هو الأخذ من كل الأشياء بطرف •

« التناول الجيد لموضوعات الحياة » تناولا عملياً عميقاً وصوغ هذه الموضوعات في قوالب مؤثرة من الكلام السليم والجميل ، وتقديمها للبشرية تقديماً صالحاً يمكنها من التفاعل مع النفوس المتلقية •

ويتركز هذا التعريف لمفهوم الأدب في نقطتين أساسيتين هما :

اجادة التناول للأشياء •

وتقديمها عطاء مؤثراً للانسانية •

ومن هذا المنطلق يسمو الأدب على الثقافة بهاتين الخصيصتين : خصيصة احسان التناول ، وخصيصة اعطاء المتناول الحسن •

فالأدب عمليات متحركة متسلسلة تأخذ من الحياة ثم تبلور ما تأخذه وتنسقه ثم تقدمه عطاء حسناً جديداً يستهوي العقول والقلوب •

الادب في المفهوم الحديث

كان الأدب في العصور الوسطى ، وعلى أساس ذلك التعريف القديم الذي يزعم انه الأخذ من كل شيء بطرف ثم يقتصر على هذا ويصمت ، كان يراد منه أن يكون حلية أو معرضاً من معارض الزينة لمجرد الزخرفة والديكور • أما الآن فالأدب مصنع للأفكار ، والعواطف الصادقة • كان دمية صماء يعبث بها الصبية والسادرون أما الآن فهو قائد موجه ينبه النفوس الخامدة ويردع العاشقين لأنفسهم فقط ، كان قنديلا هزيلا خافتا يبصبص بما فيه من وسخ الزيت ، أما الآن فهو كشاف كبير يبعث أضواء بقوة مجرية •••

ومن هنا فان الأدب في مفهوم العصر الحديث رسالة اجتماعية واضحة والأديب الحقيقي هو من يحمل هذه الرسالة ليقدمها للحياة والأحياء عواطف وأفكاراً تحمل ضياء للسائرين ، وزاداً للمسافرين ، وبذورا للزارعين وأنغاماً للمكتئبين وغذاء للجوعى ، ودواء للمرضى ، وشراباً للعطاش •

هذه الخلاصة هي الرحيق الأفضل للمفهوم الأدبي الحديث •

أما رحيق الفرق بين الأدب والثقافة فهو أن الثقافة امتصاص واحتواء للمعلومات فحسب ، وأما الأدب فهو بلورة وعطاء يتناول الأشياء فيحولها الى معان فكرية جديدة تؤثر في حياة الناس كرسالة واجبة الأداء •

والثقافة أخذ من الحياة واستيعاب لهذا المأخوذ •

والأدب اخذ وعطاء وتأثير ••• أخذ من الحياة وعطاء للأحياء ■



البطــل ..

البطل في الملحمـة يختلف عنه في المأساة .. لماذا ؟
بطولة المتنبي مأساوية .. رغم جوها الاسطوري ..
القلق النفسي .. والزمان والصراع .. الى أي مدى !!

كان « بروميثيوس » قد سرق النار – كما جاء في الاساطير اليونانية – ليضيء حياة البشر ، لأنه يمثل قصة الطموح وضرورة التغير . وقد تكون اسطورة نيابئية كما يرى بعض المفسرين تعلل بداية استخدام الانسان للنار وتحوله الى آكل للحوم ولكن المهم ان القدر سلط عليه نوعا من العذاب – العقاب ينهش كبده – دهرا طويلا ، انها ضريبة التحدي والطموح أحيانا .

وعند العرب أبطال تحولوا عبر الزمن الى أساطير ملحمية مثل عنترة ابن شداد . البطل الذي كان يدافع عن مبدأ ، وعنترة كان يجاهد ضد فكرة التفرقة العنصرية ، لم يرض الواقع وأحس ضرورة تغييره ، ولم يكن له سند سوى شجاعته وسيفه الذي استطاع عن طريقه ان يشق طريقه وان يفرض وجوده في المجتمع وان يحقق ذاته ، فتحول الى بطل اسطوري عبر تاريخ الاضطهاد الطويل .

وبطل الملحمة يختلف عن بطل المأساة ، وربما كان أهم فارق هو انتصار بطل الملحمة ، وهزيمة بطل المأساة . فهو يقوم بدور الطموح الانساني ، وقد تكون لديه امكانيات الانتصار ، ولكنه يدخل في صراع ضد قوى اخرى عاتية يسقط بعدها مهزوما – نتيجة خطيئة يرتكبها من الخطايا السبع تماما كما حدث لاوديب في مسرحية سوفوكليس ، وبطولة المتنبي من هذا النوع المأسوي ، وان احب أن يضفي عليها جوا اسطوريا .

وشخصية البطل عند المتنبي تتلخص في الخارق والمدهش . انه يشبه ابطال الاساطير ولكنه بطل عربي قادم على ناقة مع عصف الرياح ، فهو الفارس الخالق الذي يظهر حين ينزوي اناس ، وهذا التفرد هو الذي يعطيه المفهول العام للبطولة لأن العادي مناقض للخارق وتزداد الفكرة الاسطورية تكاملا حين تراه « أسد القلب آدمي الرواء » وافعاله خارقة هي الاخرى : « بصارمي مرتد بمخبرتي ، مجتزيء بالظلام مشتمل » .

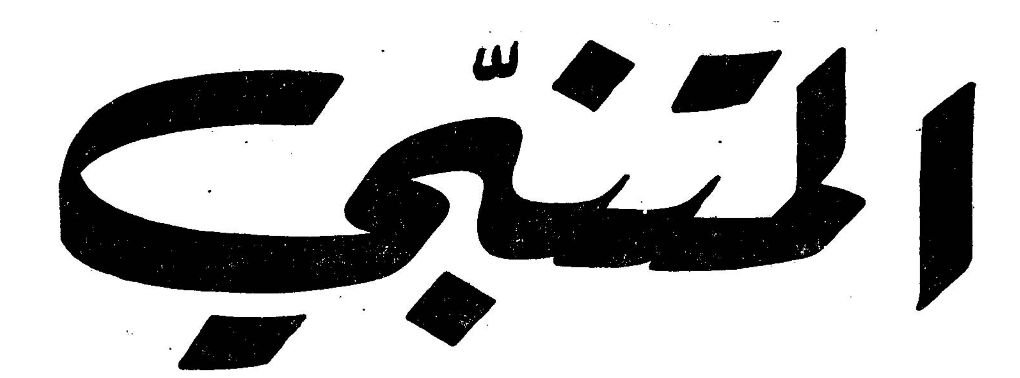
انه يذكرنا بهذه الطائفة من عرب الجاهلية الذين كانوا يسبقون الخيل في سرعة العدو ، ويقتلون وحش الصحراء ، ويعرفون مداخل الصحراء ومحارجها ، ولا يغزون الا في الليل وفي الصيف اثناء رحلات القوافل الى الشمال ، حيث يملأون بيض النعام بالماء استعدادا لهذا الوقت ، ويدفنونه في أماكن يعلمونها ثم يسيرون كالجن يفعلون الافاعيل . ولكن المدهش هنا أنه يفعل الخارق ببساطة شديدة كأنه يقوم بأمر عادي : « ومطالب فيها الهلاك أتيتها ، ثبت الجنان كأنني لم آتها » .

وحين تجتمع الشجاعة الخارقة مع الجرأة على القول الفذ ، يتحدد البعد الأول في سلوك البطل وفهمه :

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وأبعاد البطولة

في شعر



د. ماهر حسن فهمي

صحبت في الفلوات الوحش منفردا

حتى تعجب مني القور والاكم

انا دائماً نتصور البطل كائنا غريبا ، بمعنى أنه أقوى منا وبالتالي فليست فيه كل نقائصنا ، اننا ننعطف بآمالنا اليه وقد نتقمص شخصيته ولذلك يفزعنا ان نجده يضعف في موقف من المواقف . والبطل هنا قد يعرف الحب ، ولكنه يبقى دائما صلبا :

زودينا من حسن وجهك مادام

فحسن الوجوه حال تحول

وصلينا نصلك في هذه الدنيا

فان المقام فيها قليل

هو لايصلها ، ولكنه يطلب منها ان تصله ـ لاحظ وصلينا بدلا من وصليني ـ فتضخم « الانا » عنده واضح وضوحا قويا . وأسلوبه في عرض المدهش اسلوب عجيب هو الآخر . فهو يقول : « ولا اظن بنات الدهر تتركني »فتتعلق الابصار بهذا البطل الذي تحاصره المصائب ونشفق ونتعاطف معه ، فاذا اشتد الموقف فاجأنا قائلا :

« حتى تسد عليها طرقها هممي »
وهكذا يفلت من المطاردة ويسوق أمامه النكبات . وكذلك قوله :

« وأسرى في ظلام الليل وحدى »
وهنا يمكن ان نتصور البطل وحيدا مستوحشا يتخبط في الظلام وتخبطه يثير انفعالاتنا ، ولكنه يفاجئنا في الشطر الثاني بقوله : « كأني منه في قمر منير » فنتلقف أنفاسنا .

البعد الثاني للبطل هو المكان ، والمكان مجال الحركة ، ولكن حركة البطل غير محدودة ، وبالتالي فهو يضيق به .

ومن الطبيعي ان اراء العظماء لاتعرف المكان المحدود بمعنى أنها

تتجاوزه الى غيره • والعربي منذ الجاهلية تعود التنقل من مكان الى مكان ، فالحركة هنا أيضا جزء من ميراث اصيل وطويل • فالمتنبي ضيق بالمكان كثير الترحال ، جوال باحث عن الامل العريض ، انتقل من العراق الى الشام ، ومد جناحين عليهما ، ثم حلق بعيدا فطار الى مصر ثم الى فارس ، وود لو خلص من اسر المكان فهو أشبه بشهريار الجديد في مسرح الحكيم :

خليلي ماهذا مناخا لمثلنا
فشدا عليها وارحلا بنهار

ترى أين اذن المناخ الذي يبغيه ، ومتى يلقى عصا التسيار ؟ انه رمز للرحلة الابدية التي لا شاطىء لها :

كأني من الوجناء في متن موجة
رمت بي بحارا مالهن سواحل

وعدم استقراره نفسيا هو الذي يدفعه الى عدم الاستقرار في المكان ، حتى اصبح ظهر الناقة مكانه المفضل :

ألفت ترحلي وجعلت أرضي
قتودي والغريري الجلالا

على قلق كأن الريح تحتي
أوجهها يمينا أو شمالا

ان الصراع بين الانسان وبين المكان صراع أزلي ترى هل يستطيع الانسان ان يخلص من اسر المكان ؟

والى أين ؟ ان كروية الارض تدفعنا دائما الى العودة لنفس المكان • ولكن المهم الا يقع البطل اسيرا لحدود مكانية ضيقة تعوق حركته وتشل طاقته ، بمعنى ان المكان سبيل الى الهدف والهدف دائما متحرك ، فنحن ندور وراءه في صراعنا الدائب حتى لو عدنا الى نفس المكان مرة ومرات • ومن العجيب ان نجد شاعرا مصريا — ظافر الحداد — يرحل من الاسكندرية الى القاهرة وراء لقمة العيش ، فيظل طول عمره يبكي الاسكندرية ، ويود العودة اليها • فهذا يعقد به الحنين المدمر عن الاستمتاع بالحياة ، مع ان مفهوم الوطن بأي معنى من المعاني لايمكن ان يكون على هذا النحو •

لا شك ان طبيعة البيئة الزراعية تختلف عن طبيعة البيئة الصحراوية أو الجبلية ، فالاولى تربط الانسان بالارض كأنه شجرة من اشجارها والثانية تدفعه الى الرحلة وراء المرعى والخصب ، وان كان الابطال حتى في البيئة الزراعية يتجاوزون حدود المكان • واذا كان ظافر الحداد قد بكى حين ترك الاسكندرية فان المتنبي يتعالى على المكان ويفخر بقدرته على تجاوز حدوده •

بأي بلاد لم ألم ذوائبي

وأي مكان لم تطاه ركائبي

حتى يبلغ به الامر ان يقول : «أي محل أرتقى »؟ انه احساس بالانتصار على المكان ، وان الدنيا على سعتها تضيق عن طموحه وتطوافه ، ويطمح في الصعود الى الكواكب •

ويجهل اني مالك الأرض معسر
واني على ظهر السماكين راجل

محاولة للامتداد خارج المكان من اجل هدف واحد لبيرهو المجد ، فليس الامر هو الرحلة في حد ذاتها ، ولكنها وسيلة الى الهدف العظيم أو الفعل العظيم •

لولا العلا لم تجب بي ماأجوب بها

وجناء حرف ولا جرداء قيدود

والبعد الثالث هو الزمان • وموقف المتنبي من الزمان مثل موقفه من المكان فهو في صراع دائم ضده ، صراع لا هوادة فيه • ترى هل يمكنه ان ينتصر البطل على الزمان ؟ ان المصريين القدماء حاولوا ذلك وأوزوريس رمز للعودة المتجددة الى الحياة والانتصار على الزمن ، ولكن أهل الكهف في القصص القرآني ، يرمزون — في تفسيرنا المعاصر — الى انتصار الزمن ، هل يمكن اذن مصارعة الزمن ؟ وبأي سلاح ؟ •

ولو برز الزمان الى شخصا
لخضب شعر مفرقه حسامي

وما بلغت مشيئتها الليالي
ولا سارت وفي يدها زمامي

الزمان لايتقمص صورة الاشخاص ، فالصراع هنا بين البطل وبين شبح غير مرئي ، ولكنها محاولة من البطل للافلات من قبضته ، وسلاح الارادة والصبر الطويل :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيدا ، وما قولي كذا ومعي الصبر

مازالت ملحمة الصراع مستمرة ، وهي معركة ضارية ، يحاول فيها البطل ان يروض قوة غلابة فهل يستطيع ؟

أعطي الزمان فما قبلت عطاءه
وأراد لي فأردت ان اتخيرا

لقد لخص في هذا البيت موقفه من قضية الجبر والاختيار ، وما دامت له ارادة كما قرر المعتزلة من زمن ، فهو يستطيع ان يقبل أو أن يرفض • واذا كان المتنبي قد حاول ان يخترق حاجز المكان من قبل حين قال :

فشرق حتى ليس للشرق مشرق
وغرب حتى ليس للغرب مغرب

وحين قال متصورا أنه انتصر على المكان : «وعندي لك الشرد السائرات لايختصصن من الارض دارا » ، فقد حاول كذلك ان يخترق حاجز المكان : « وتركك في الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر » ثم يتصور انه انتصر عليه :

وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

انها محاولة اخرى للامتداد خارج الزمان ، فالدوي الذي يصم الآذان ويملا الدنيا هو دوي الدهر الذي يروي شعر المتنبي ، يشرق بروايته ويغرب بانشاده ، هذا الاختراق لحاجز المكان وحاجز الزمان هو مضمون الخلود وجوهره •

أحاديث في الأدب المصري

عزيز أباظة

ثروت اباظة

لعل الشعر هو اصعب الفنون الادبية - فان لم يكن الشاعر سامقا قوى الديباجة حلو الجرس يصل شعره الى قلوب مستقبلية فيهزها ان لم يكن فهو ليس شاعرا .

ولذلك نجد الناظمين كثيرين ، لكن الشعراء قلة . وعزيز اباظه من هؤلاء الشعراء الذين استطاعوا ان يحفظوا للشعر العربي الاصيل برونقه الاخاذ في لفظ شريف مختار جميل وفي صياغة عربية رفيعة وفي جرس فني غني - فقصائده كأنها مواكب من الفن الأدبي ومن الاحساس الشاعري .

هو من مواليد ١٨٩٨ بمدينة الزقازيق وقد تخرج في مدرسة الحقوق عام ١٩٢٣ ، وقد عمل وكيلا للنائب العام فمديرا لتحقيق الشخصية فوكيلا للمديرية فمديرا بعدة مديريات كان آخرها مديرية اسيوط . كما انتخب عدة مرات عضوا بمجلس النواب ومجلس الشيوخ .

وعزيز أباظه قال الشعر وهو طفل، ولكنه كان يقوله همسا لا يفضى به الا الى الخاصة المقربين - فلم يكن احد يعرف عنه أنه شاعر الا اقرباؤه واصدقاؤه ، وكانت حياة الوظيفة والحياة السياسية تشغل معظل وقته . فالشعر عنده ظل لفترة طويلة من حياته متعته التي يلجأ اليها من متاعب الحياة .

حتى كانت الفاجعة التي أصابه بها الدهر في يونيه سنة ١٩٤٢ حين انتقلت الى رحمة الله زوجته وابنة عمه وأم أولاده وحب حياته جميعها منذ هما طفلان على ضفاف مويس في الربعماية حتى اصبح هو مديرا واصبحت هي أم ابنتيه وابنه .

حينئذ وجد عزيز أباظه انه لا ملجأ له الا شعره فاذا هو يفاجيء الناس بديوانه « أنات حائرة » يفرده لزوجه فيصبح الديوان الاول من نوعه في الشعر العربي . وفي غمار هذه الاحزان يجد عزيز اباظه ان الشعر أنقذه من نفسه ، فيلقى اليه نفسه، وينظر الى الطريق الذي قطعه شوقي في الرواية الشعرية فيجد الطريق مهجورا طار عنه هزاره وجفاه رواده فالمسرح الشعري خاو تقوضت أركانه وأسدل عليه الستار وبقي الاساس الذي أرساه شوقي .

فكتب عزيز أباظه مسرحيته الأولى « قيس ولبنى » ولقيت نجاحا هائلا من النقاد والمشاهدين على السواء فسار طريقه وأكمل مابدأه شوقي وشيد الصرح على الأساس فكانت رواياته « العباسة، الناصر، شجرة الدر ، غروب الأندلس ، شهريار ، اوراق الخريف ، قافلة النور ، قيصر ، زهرة » .

وان كان شوقي لم يستطع ان يتخلص من الشاعر فيه ، وهو يكتسب مسرحياته فان عزيزا استطاع ان يتذكر دائما انه يكتب للمسرح . فنحن لامرى مثلا القصائد الطويلة التي كان يكتبها شوقي في مسرحياته حتى ليظل الممثلون واقفين فترات طويلة صامتين لينتهي الممثل المنشد من القاء قصيدته الرائعة ولكن الطويلة أيضا . ولا شك أننا نلتمس العذر لشوقي فان المسرح عنده كان في الدرجة الثانية وكان المهم عنده هو الشعر وقد كان الاستطراد الشعري يستهويه فهو يوغل فيه غير ملفت الى مقضيات المسرح . أماعزيز أباظه فقد استطاع ان يكبح جماح الشاعر في نفسه ويجعل المسرح مسرحا وفي نفس الوقت استطاع ان يحافظ على الصياغة الشعرية الساحقة والجرس العربي الانيق . كما استطاع عزيز أباظه ان يتعمق في البناء المسرحي فمسرحياته ان تخلى عنها الشعر ظلت مسرحيات رائعة تستطيع ان تقوم بموضوعها وبنائها وأفكارها كأعظم المسرحيات في الادب العربي .

وقد استوحى عزيز اباظه التاريخ في اغلب مسرحياته ثم هو يضفي على هذا التاريخ أفكاره السياسية وآراء . فالتاريخ عنده وسيلة يلقي بها ما يريد او يقول .

وقد راد عزيز أباظه بالمسرحية الشعرية ميدانا جديدا فهو يكتب مسرحيته « أوراق الخريف » زهرة تدور احداث كلتيهما في الزمن الذي نعيش فيه وقد طوع شعره المعروف بالعروبة والجرس اللفظي الضخم لمقتضيات الزمن الذي تدور فيه احداث الروايتين فاذا هو شعر سهل سلس يكاد أن يكون حديثا يجري في الصالونات مع رنين التليفون وكلاكس السيارات . واحداث رواية « زهرة » تعتمد في اساسها على فكرة « فيدرا » وان كان عزيز اباظه قد خلق لها شخصيات مصرية واجرى احداثها في البيت المصري .

كما قام بمحاولة شعرية اخرى لم يسبقه اليها احد في المسرح الشعري العربي فقد كتب مسرحيته «قيصر» ناظرا الى مسرحية شكسبير جامعا فيها بين الترجمة والخلق .

وقد اهتم عزيز أباظه غاية الاهتمام بالانسان في مسرحياته فهو يتعمقه في دراية واسعة به وفي تعاطف عظيم مع شغفه وآماله والامه ولعل عزيز أباظه من اكثر الفنانين تفهما لضعف الانسان فنجد يده تربت دائما كتف المخطيء في حنان وبر ونفس شاعرية صافية والعجيب انه جعل هذا التعاطف يتساو مع شعور ديني عميق يملأ عليه جوانب نفسه فالله عنده هو الرحيم الغفور الودود الرحمن والدين عنده وهو هذه الاشراقة السمحة التي تغتفر للبشرية وتقدر عذاب الانسان في معايشة الحياة .

وعزيز أباظه من هؤلاء الفنانين الذين يعيشون حياتهم بكل مافيها من خلجات فهو يتعمق اللحظات في حس مرهف وطبيعة مواتية وملاحظة دقيقة لكل النأمات البشرية التي تمر به وهو بعد ذلك ذو ذاكرة واعية فأنت تجد أثر هذا جميعه في شعره المسرحي وفي تحليله لشخصاته التي يقدمها اليك .

ولم يكتف عزيز أباظه بالرواية المسرحية وديوانه الفريد بل يعيش حياة بلاده فلا تمر مناسبة سياسية الا واجهها عزيز أباظه بفنه كما لاتمر مناسبة اجتماعية كبرى الا تصدى لها فهو يعيش عصره بكل جوانب هذا العصر .

وهو مع حفاظه على القيم الثابتة في التراث الانساني شديد التحرر مستجيب لكل جديد يرى فيه تطورا يؤدي الى الأحسن واسع الافق في هذا التطور سعة لافكار نعرفها الا في الندوة النادرة من ابناء جيله .

＊

فــن

القصــــة



المملكة العربية السعودية

القصة بمعناها الحديث ، جديدة في الأدب العربي، تعود بداياتها الى أوائل القرن ، على يد رواد هـذا الفن في مصر العربية ، ثـم تعاقبت التجارب وأغنيت حتى أصبحت على ماهي عليه اليوم من تقدم ورقي ٠

والقصة كشكل من الأشكال الأدبية في المملكة العربية السعودية فن حديث النشأة ٠ بدأ مع نشوء الصحافة والمجلات على الأرض السعودية مزاحما للفن الشعري العتيد ٠

والتأريخ لبدايات فن القصة في أدب المملكة العربية السعودية بصورة دقيقة يكاد يكون ضربا من الوهم، لأننا قلنا أنه بدأ على صفحات الدوريات من صحف ومجلات ابان بواكيرها ، وهذه البواكير قد ضاع معظمها، ويعتبر الباقي في حكم الضائع أيضاً ، ولكننا نؤكد ان اقدمهـا لايعدو أوائل الحرب الكونية الثانية ٠٠ ثم راحت بعد ذلـك تشق طريقها بـين سخط الشامتين وتصفيـق المشجعين ، وارتضت القصة لنفسها ان تحتمي بمواضيع اجتماعية واصلاحية ٠ الا انها دخلت في الأدب السعودي حاملة اخلاق المجتمع الجديد وقيمه الدينية وحياتـه المتطورة ، تحمل بين تضاعيفها طابع الوعظ أو اثارة الدهشة والعجب أو الاحتجاج على تقاليد بائدة ، أو التنديد بعادات بالية ضارة انتصارا للخير والفضيلة اللذين يؤمن بهما المجتمع السعودي ٠ وهذا مايضيـع فن القصة في المملكة العربية السعودية منذ بداياتـه في باب الالتزام الأدبي وتطبيق مقولة « الفن فـــي خدمة المجتمع »

وهكذا اندفعت القصة فـي طريقها حتى قيض لهـا سيادة الألوان الأدبية ، واهمال ذكر ماعداها ساعدها على اجتياز أشواك الطريق الطويل تبنيها للقيم الفكرية والاجتماعية التي يؤمن بها المجتمع السعودي الجديد ٠ وقد استطاعت القصة بفضل مرونتها، تسليط الأضواء الكشافة على مشاكل وزوايا اجتماعية لايصل اليهـا الشعر ويظل قاصرا عن معالجتها ٠

فقد عبرت القصة ببساطة ووضوح عن مفاهيم اجتماعية حديثة لهذا المجتمع المتطور النامي ، وأبرزت شكل رؤيته للحياة وعمق نظرته للأخلاق مع ماينسجم مع تعاليم الدين الحنيف ، وتطلع الانسان العربي في المملكة العربية السعودية للخلق القويم الذي يرتضيه لمجتمعه الجديد ، مستمدة مادتها الاولية من الموروث المتراكم عبر اسفار التراث العربي الاسلامي ،وعرضه بأسلوب فني جديد يحمل كل سمات المرحلة الحضارية التي تبنتها الطليعة من رواد الأدب السعودي ، لذلك فتحت أمامها الأبواب الموصدة وراحت تطغى على كل الاشكال الأدبية الأخرى ..

ومن السمات المميزة لفن القصة السعودية أنهـا كانت ومازالت حصيلة للروح العربية الصافيةفأصولها عربية المنسب والأرومـة ، تستمد مادتهـا من قدسية أرض المملكة ، ومفاهيمها من القيم الروحية العربيـة الاسلامية ، مخالفة في ذلك الطرق التي سلكهامثيلاتها في الأقطار العربية الأخرى ، فلم تتبع طريق التعريب أو الترجمة عن الآداب الغربية، انما كانت عربيةالبذار نسغها ونسيجها مستمدان من الشمس العربيةوالأرض السعودية ذاتها .. وتبعا لارتقاء فن القصة ونضوجها في السعودية ، نستطيع أن نقسم مراحل تطورهـا الى طورين اثنين :

■■ المرحلة الأولى :

وهي المرحلة التي تمتد حتى نهاية الحرب العالميـة الثانية (١٩٤٥) ونستطيع ان نطلق عليها مرحلـة القصة الانشائية أو القصة المقالية .

وتناولت القصة في هذه المرحلة شرائح اجتماعيـة معينة وسلطت عليها الأضواء عبر ضباب كثيف من الخيال القصصي المجنح ...

وانتقدتهـا ، كأوضاع المـرأة ، وصروف الحيـاة والعلاقات العائلية ، ومسألة الفقر واليتم ، والميراث والعمل وغيرها .. فمثل هذه المواضيع يندرج فـي حقل الاصلاح الاجتماعي ،لكنهاصيغت باسلوب قصصي فجاءت سطحية الملامح باهتة الروح ، تميل اسلوبيـا باتجاه الخطابة والوعـظ ، أكثر مـن تعمقها لدراسة الأسس الفكرية والفنية وتحليل النماذج الانسانيـة والعوامـل الاقتصاديـة التي هــي المسرح العملـي السرد والقص ..

ولم يتعمق الأديب منهم في هــذه المرحلة أبطال قصصه ،ولم يحلل نفسياتهم ودوافعهم ومنازعهم البشرية بل نجدهـم يصفون شخوص قصصهم وصفـا حسيا خارجيا ، ولم نجد كذلك أمثلة واضحة للبطل القصصي المتطور ، الذي يتنامى من خلال تفاعله مع الأحداث ، أو بالحوار الداخلي (المونولوج)لذا بدت شخوص قصصهم جامدة وكأنها دمى مشدودة بحبال تتحـرك بلا حياة . وصدى لأفكار محددة مرسومة ، لا كائنات حية تسعى على أقدامها نحو أهدافها ومصائرها .

والقصص اجمالا في هذه المرحلة ، أقرب الـى ان تكون حكايات شعبية ، صاغتها أقلام باسلوب قصصي منها الى علاقات انسانية حية تضج بالانفعالات البشرية وتتطور مع الحدث الفني أو تتواءم معه .. لذلك بدت لنا احداث باهتة مسطحة لاعمق فيها ولا أحجام لها.. وكذلك أخلاق شخوصها بسيطة واضحة ، وعواطـف أبطالها عادية لاتعقيـد ولا تشابك فيهـا ، فهي ثابتة لاتتغير مع الحدث ، وعلى تعاقب العمل والزمن ولاتتبدل أو تتلون مع تطور الحدث ، وكأنها أقدار مرسومة على جباههم ، فالخير يظل خيرا على امتداد العمل القصصي والشر يبقى شرا مطلقا وكأنها أقدار محتومة لا مفـر منها ، يضاف الى ذلك جنوح الى المبالغات المجسمة والاسراف بالتهويل ، وتلك الخواتيم النادرة والمصائر الفريدة التي ينتهـون اليهـا ، فهي أشبه بالأعاجيب

والخوارق لايحدث ما يشابهها في الحياة العادية ٠

أما من حيث الأساليب التي سبكت بها هذه القصص فانهـا تمتاز بالمتانـة والرشاقـة والانسياب مما عوض عن النواحي الفنية المفتقدة ، حتى لقد حاكت في أساليبها طرائق الفحول من المعاصرين والغابرين٠ فالصور الفنية بارزة متميزة الألوان والأخيلة متشامخة مجنحة ، والصنعـة اللفظيـة متقنة مـن حيث اختيار الالفاظ وصياغة التراكيب وكأنها معرض من معارض القـول والكلـم ٠٠

■■ المرحلة الثانيـة :

وتبدأ بالفترة التي أعقبت الحرت العالمية الثانيـة حينما عادت أفواج البعوث من الشباب السعودي من مختلف انحاء العالم مزودين بالثقافات المختلفة ، وقد أتقن الواحد منهم لغة أجنبية على الأقل ، وصادف ذلك أيضا استقرار الحياة السياسية في المملكة العربيـة السعودية ، وازدهار الحياة الاقتصادية وتطور الحياة الاجتماعية ، وانفتاح البلاد علـى التيارات الفكريـة الأجنبية وانتشار التعليم ، وظهور القيم الحديثة في العلم والفن والأخلاق والحكم والحياة ، وبدأت الطعوم الثقافية تؤتي أكلها نتاجا يانع الثمر داني القطوف ٠

ونشأ في هذه المرحلة من مراحل القصة اتجاهان جديدان متوازيان على أرض المملكة العربية السعودية فقد أدرك الأدباء بحسهم الفني الصقيل بتأثر تمازج الثقافات ان القصة يجب ان تخرج عن كونها رصفـا للكلام الجميل والتعابير الرنانة والجموح بالخيال ٠٠

فالقصة كما اطلعوا عليها خارج بلادهم غير هذا ،ولها مقومات وعناصر فنية لاتقوم الا بها ٠٠ وهكذا ارتقى فن القصة على أيديهم حتى استطاع ان يحتل المكان اللائق به بين مختلف الفنون الأدبية الأخرى ٠

وفي هذه المرحلة الثانية من حياة القصة نستطيـع أن نميز اتجاهين :

آ ـ الاتجاه الأول :

وهو الاتجاه الذي مثله المرحوم حامد الدمنهوري (١٩٢١ ـ ١٩٦٥ م)وقوام هـذا الاتجاه المونولـوج الداخلي أو التحليـل النفسي الـذي يغني استبطـان الأمور والشخوص ورسمها من الداخل ، لا من الظاهر والخارج ٠ ٠

فقد بنـى الدمنهوري تجربتين ناضجتين الأولـى (ثمن التضحية ١٩٥٩ م) والثانية بعنوان (ومـرت الأيام) ونشرت عام ١٩٦٣ م ٠ على منوال الرواد من القصاصين في العالمين العربي والغربي ٠٠ فشخوص روايتيه بشر مثلنا لهم عالمهم الداخلي الذي يمـور بالخصب والانفعال والنماء ، وأخذ بالحوار والمونولوج الداخلي يحلل هذه الشخوص ورسمها لنامن الداخل فيبرزها حية متحركة نامية لها عواطفها وانفعالاتها ٠ مع المحافظة على نصاعـة الأسلوب ومتانـة السبك وجزالة الألفاظ ٠٠

ثم يصف لنا الدمنهوري من خلال السرد ، الحياة العادية في بيوتات الأسر السعودية وما يدور فيهـا من علاقات ، كما ويرسم لنا ملامح البيئة الطبيعية في العربية السعودية بتفاصيلها وأسمائها ، كما ويرسم لنا المجتمع الحجازي وطموحاته الحثيثة للمحافظة على الأعراف والتقاليـد ، ولا ينسى ان يطلعنا على حيرة الشباب السعودي عندما تقذف بهم نوى الترحال الـى أقطار قصية من العالم طلبا للعلم والمعرفة ، ومايساورهم من هموم وعواطف يعملون على كبتها ٠ يأبى الدمنهوري الا ان يغلبهم على عواطفهم ليضرب بذلك المثل الصالح والقدرة الحسنة لمن سيأتي بعده ٠ كما انه لاينسى أن يظهر جهل الأهل وظلمهم للفتيات اللواتي لاذنب لهن فيما يجري عليهن من اقدار ٠٠

ويبقى الدمنهوري الرائـد والطليعـة لهذا الفـن القصصي المتطور في هذه الحقبة من الزمن وما تلاها وحبذا لو حذوه الآخرون ، على الرغم من ان الطريـق صعبة وشاقـة ، والأمـل معقـود بنواصي القصاصين الشباب في ارتقاء مثل هذا الاسلوب القصصي الرائع٠ تارة وفي البكاء تارة اخرى ، أو في التمرد عليه٠ومنهم من بلغ الغاية والمرمـى ، ومنهم من اخفـق ، ومنهـم

ب ـ الاتجاه الثاني :

كان لابد لذلك التطور الاجتماعي والسياسي الشامل لجميع مناحي الحياة في المملكة العربية السعودية من ان يثمر ويعبر عن نفسه بأقلام فنية جديدة اللون والنبرات ، متفتحة العقل والتجارب . فنشا اتجاه آخر يوازي اتجاه المرحوم الدمنهوري وانقسم افراد هذا الاتجاه الى قسمين اثنين مختلفين :

الأول : وينتظم « الاكاديميون » الذين عادوا الى البلاد بجعب ملأى بالكثير الكثير من العلم والمعرفة والتجربة ، بعدما خبروا أصول الفن القصصي وعرفوا قواعده في منابعه الأصلية وفقهوه .. فنادوا بالتجديد والانبعاث (*)

الثاني : والفريق الثاني وهو الذي يمثله الادباء المحليون الذين حنكتهم التجربة ورسخت أقدامهم المعاناة ، وبرت أسنة أقلامهم حرب الكلام ، وقد نادوا بالتمسك بالقديم ، ودعوا الى المحافظة عليه والحرص على « بروتوكولاته » .

ونزل الفريقان الى ميادين الصحف والمجلات ، وأخذوا يتبارون في الكتابة وكأنهم في حلبة صراع . وراحوا يتقارضون النقد بين اخذ ورد ، والمعركة بينهم يزداد لهيبها ويصطلى أوارها يوما بعد يوم .

في هذا الجو من الحركة والتطور والانفعال ولدت القصة الفنية على أرض المملكة العربية السعودية لأول مرة ، لأنها بشكلها الحالي منقطعة تماما عما كانت عليه من قبل ، لكنها على الرغم من ذلك لم تستطع بعد أن تتخلص كليا من الاعباء الاجتماعية التي كانت قد سوغت انتشارها بين الناس ، وهي ـ أي القصة ـ وان استطاعت أن تتخلص الى حد ما من الصيغة الخطابية واللهجة الوعظية ، فلم تستطع ان تتخلص من هدفها القديم ، ولكنها عرفت الطريق القويم الذي يجعلها اجتماعية المحتوى والمضمون وتنويع المواضيع التي تعالجها فكان هناك المواضيع الرومانتيكية والواقعية والتاريخية والأسطورية والصور الاجتماعية وغيرها ، لكننا نفتقد قصص الأطفال والقصص البوليسي والنفسي والعاطفي المحض .

ونلمح على القصص السعودي المعاصر بصورة عامة مسحة من القلق والروب تغلف احداثها واهدافها معبرة بذلك عن الحالة النفسية والفكرية لمؤلفيها الذين يبدون وكأنهم يبحثون عن درب الهداية في الأحلام من كتب القصص المتماسك ومنهم من انتج المهلهل من القصص ..

أما النوع الأول : .. فهو الذي أعطى القصص الجيد الذي ينسجم مع المنطق ويقلبه العقل ، في صورة جمالية حسنة العرض والحدث والقدرة الفائقة على رسم الشخصيات من الداخل أو من الخارج في حوار سليم متوافق مع الفكرة من جهة منسجم مع الشخوص في الجهة المقابلة . يزينه نجاح متميز في خلق الازمة والصراع أحيانا ، في تفاعل مشوق رصين يشد القارىء اليه ويعلق أنفاسه به حتى الخواتيم ، كل ذلك بلغة واضحة واسلوب عربي متين .

أما النوع الثاني : فهو نماذج من القصص الذي ولد على أقلام الشباب الذين فتحوا اعينهم على النهضة تسري في جميع الأرجاء ، وعلى الثقافات تتدافع الى معظم الاتجاهات وعلى صراع عنيف بين الجمود والتطور . ولقد عالج هؤلاء الشباب الموضوعات المختلفة عن طريق الفن القصصي ، وحاولوا ان يتقيدوا قدر طاقتهم بأصوله الفنية وقواعده المرعية ، الا ان قصصهم جاءت باهتة قاصرة حينا ، أو مشدودة الى مبالغات سينمائية متكلفة أعثر مما يسيرها الواقع أو منطق الحياة أحيانا أخرى ، أوقد يكون سبب هذا التفكك عائد الى تهافت الفكرة أو سوء العرض ، أو التخبط في الأحداث ، أو ضعف الأزمة والصراع أو تفاهة النهاية أو ركاكة الأسلوب وهلهلته ، مع ملاحظة عامة في هذ النوع من القصص هو ضعف اللغة والاغلاط الكثيرة التي تعتوره .

وتتسم هذه المرحلة بسمة غاية كبيرة من الأهمية الا وهي نزول المرأة الى الانتاج الأدبي . اذ راحت تنشر الدوريات من صحف ومجلات كل مايجول في خاطرها ولم تكتف بذلك بل أخذت تطبع انتاجها في كتب مستقلة ، مما يبشر بدخولها ميادين اخرى .

وأخيرا ، وليس آخرا ، ان الغد ينتظر ظهور الكثير من الحذق والمهارة الفنية في كتابة القصة ورسم الأطر الفنية لها على أرض المملكة العربية السعودية ، هذا الفن الحديث الذي تكاد تكون له السيادة المطلقة على الفنون الأدبية الأخرى ، واننا ننتظر من الأخوة القصاصين السعوديين ان يتحفونا بالمزيد من جميل القول ورصين السبك ، كما اعتادوا .. وان الغد لناظره قريب ..

مرثية الحب والموت

شكري هلال

يغتالني حبك ٠٠ يمتص دمي
يهد اعصابي ويرميني على شوك العذاب
يشرب من مدامعي ٠٠
يقودني فوق دروب الألم ٠٠
مسيرة القنوط والموت التي ليس لها اياب
أعرف اني هالك ٠٠ نهايتي على يديك تكتب
والسم اسقاه ٠٠ وفيك جسدت اسطورة العذاب
وانت صخرتي ٠٠ وسيزيف انا ٠٠ ارفعها ٠٠
ارفعها ٠٠ لكنها تهوى عقوبة واغلقت في وجهي الأبواب
اغضبت كل الناس والسماء فيك ، يابائعة الهـــوى بلا حساب

يامن بظهري تغمدين الخنجر المسموم ٠٠
وقدري الملعون انت ٠٠ في هواك كل يوم اصلب
احمل صخر الألم المكبوت ٠٠يدعوني اليك مأتمي،عذاب
أعمى تقود خطوتي الأقدار
وحيث لا قرار للعذاب أهوى ٠٠ ارتمي انهار
معذب قلبي لديك جرحه لايضمد ٠٠
والصمت والآلام في صدري ٠٠ اداريها ٠٠ وتبكيني
ويبكي الشوق في عيني ٠٠٠ ويبكي الموعد ٠٠
حان الرحيل ٠٠٠ حان ياقلبي ٠٠ وشمسي تغرب
واوحدا اقابل المصير ٠٠
يحنو علي حزني الكبير ٠٠

———*———

يغتالني حبك ٠٠ في ربيع العمر في اشراقة الشباب
يغتالني اصرارك الجبار ٠٠ والعناد والشجار

تغتالني ٠٠ الغيرة ٠٠ تضنيني ٠٠ تهد رأسي الأفكار
أضيع في متاهة سحيقة ٠٠ ليس لها قرار
أأنت لي ٠٠ أأنت تهوين ؟ محال يقتل الحبيب من يحب
وكيف يرض قلبك النبيل ان أموت ؟ ٠٠٠
واين ذاك الشوق والحنان ٠ ؟؟ أين التضحيات ٠٠ ضاعت ؟ ؟
اين اين ضاع الصدق والوفاء ٠٠؟
عهودنا ٠٠ دموعنا ٠٠ ورحمة السماء ٠٠
كيف يضيع هذا كله وننتهي اغراب ٠٠
ويشتفي الحقد من الأحباب ٠٠ ؟ ٠٠
كيف بنا تختلف الطريـق ؟ ٠٠ والأشباح والليـل بنا تحيق ؟
كيف يصير الحب نارا تحرق الوجدان ٠٠٠
كيف يصير العرس مأتما ٠٠ تبكي العيون طهره اليتيم؟
كيف يموت الحب ٠٠ في عينيك ؟
يحيا الحقد والنفور فيهما ٠٠ يأتلق الجنون والغضب
تدمرين كل ماشدناه ٠٠ يطوي كوننا اللهب ٠٠
كيف السنين اصبحت رماد ٠٠٠
وبعد ليلات الوصال والحنان ٠٠ يرتوي من دمنا البعاد
أتنتهي الرواية الجميلة ؟؟
ومشهد الوداع هذا ؟ ٠٠ فوقنا ينسدل الستار
وترحلين ٠٠من وجودي٠٠تسكن الأوهام فيه والتذكار
وأوحدا في الذكريات احترق ٠٠
اليأس والوحشة ندماني ٠٠وطيف الأمس خمرتي المعتقة
وتجهش الدروب ٠٠ اذ تلفظني تنكرني
امس بها كنا معا ٠٠ واليوم لاتعرفني
٠٠ ماأغرب الحياة ٠٠٠

٠٠ بل ماأغرب الانسان ٠٠
وماالذي يغير الأشياء ٠٠ ماهذا الذي يدعونه القدر ؟
علام ٠٠ نأتي للحيـاة ؟ ٠٠ نلتقي وتزهـر الأشواق في العيون فترة
يعقبها ٠٠ انطفاؤها والموت في سكون
٠٠ علام عشنا الحب ٠٠ قطفنا زهور الوصل ٠٠
مادام الفراق في انتظارنا ٠٠٠
يسحبنا قطاره المشؤوم للدمار
علام ياانت علام هدني التفكير في المصير
وفي فمي ينتحر السؤال ٠٠٠
ألم يكن أجدى لنا لو اننا لم نلتق ؟ ٠٠٠
ولم تلون عمرنا الأحلام والورود الوعود والعهود
ولم تغرد في عيوننا السعادة ٠٠٠
لم يخفق القلبان في اللقيا ٠٠ وكان حبنا عبادة
ألم يكن أفضل يامن تغدرين لو بقينا غرباء ؟ ٠٠٠
مااحترقت روحي بنار الغدر والشقاء ٠٠
مامزق الوصال أعصابي ولا انتحرت في اللقاء والجفاء
ماكنت ايوب الذي سبع سنين يكتوي على مجامر الابلاء
ماشرب الهجران من دمي وأدمعي ٠٠٠ ماهدني الاعياء٠
ألم يكن أجدى ؟ ٠٠ بلى ٠٠ لكنها مهزلة القدر
مأساتنا التي ترقد في الأعماق ٠٠
نعيشها بدمنا في الوصل والفراق
٠٠ نظل في العذاب نرسف ٠٠
نظل ٠٠٠ حتى ينتهي السفر ٠
٠٠ويشتفي القدر ٠٠٠

شعر : شكري هلال

نقطة نظام

علي المصري

نقطة نظام مجموعة رائعة للأديب المغربي الأستاذ محمد الصباغ ، صدرت عام ١٩٧٠ م عن دار مطبعة الرسالة بالرباط ٠

والأديب محمد الصباغ من مواليد مدينة تطوان لعام ١٩٢٩ م تلقى تعليمه في المغرب واسبانيا٠ونشر انتاجه في مختلف الصحف والمجلات العربية ، كما ونشر مترجماً الى اللغة الاسبانية وذلك في المجلات الاسبانية ودول أمريكا اللاتينية ، ونقل بعض انتاجه الى كثير من اللغات الأجنبية وقد صدرت دراسات عنه في عدة (انتوجيات)استشراقية وشغل عدة مناصب رسمية عالية وهو يشغل حالياً رئيسا لقسم الآداب بوزارة الثقافة المغربية ٠ ويرأس تحرير مجلتي«البحث العلمي » و « الثقافة المغربية » اللتين تصدرهما وزارة الثقافة

وهو الداعي الى تأسيس اتحاد كتاب المغرب في جريدة « العلم » سنة ١٩٦١ م ، وقد انتخب مرتين عضواً في المجلس التنفيذي لاتحاد كتاب المغرب منذ نشأته حتى الآن ٠

وقد صدر للمؤلف

١ ـ العبير الملتهب ـ ١٩٥٣ م تطوان

٢ ـ شجرة النار ـ ١٩٥٤ م تطوان

٣ ـ اللهاث الجريح ـ ١٩٥٥ م تطوان
١٩٦٠ م بيروت الطبعة الثانية

٤ ـ أنا والقمر ـ ١٩٥٦ م تطوان

٥ ـ شلال الأسود ـ ١٩٥٦ م تطوان طبعة أولى
١٩٥٧ م تونس طبعة ثانية
١٩:٦ م بيروت طبعة ثالثة

٦ ـ فوارة الظمأ ـ ١٩٦١ م تونس

٧ ـ عنقود ندى ـ ١٩٦٤ م الدار البيضاء

٨ ـ شموع على الطريق ـ ١٩٦٨ م تونس

وأما كتبه المترجمة فهي :

١ ـ شجرة النار صدر مترجماً الى الاسبانية

٢ ـ أنا والقمر ـ صدر مترجماً الى الاسبانية

وله عدة كتب مخطوطة تصدر قريباً

١ ـ عندلة

٢ ـ شجرة محار

٣ ـ الكلمة المسلحة

٤ ـ أهل مدينتي الفاضلة

وموضوع مقالي نقطة نظام ، مجموعة قصصية تقع في مئتين وعشرين صفحة من القطع المتوسط وقد زين ظهر الغلاف بصورة للمؤلف مع تقريض للكتاب بقلم الأديب الكبير ناسك الشخروب ٠ ويحتوي الكتاب على سبع عشرة قصة قصيرة هي عبارة عن مجموعة مشاهد منتزعة من صميم الحياة المغربية صورتها عين فنان أصيل ، ورسمتها ريشة رسام موهوب ، ودبجها قلم شاعر لوزعي ٠ فجاءت على شكل ومضات شعرية تحمل من الشحنات الفكرية المسربلة بضباب العاطفة مايرتفع بها أحياناً الى مستوى البوح الوسيقي المريش بالخيال ٠ وتحمل من الأحاسيس الحزينة والمشاعر العميقة مايرفع بها الى مستوى الملاحم الشعبية ، لأنها تصوير دقيق للانسان المغربي في واقعه المرير وسخافة الأغلال والقيود الروحية التي يعتقد بها ، لذا نجد الكاتب يتناولها بكثير من النقد اللاذع والتهكم الساخر ليحرر أبناء أمته من سخافاتهم وتفاهاتهم ، لكنه حزين

مشفق في كل خلجة من خلجات قلمه ويواكبه احساس عميق بقيمة الانسان مهما يكن شأنه بين الناس ٠

وهو في كل ذلك دقيق التعبير رشيق العبارة تتبدل المشاهد أمام القارىء على شكل ومضات ضوئية على دروب المعاني العميقة التي ربما لاتدرك الا بالتمعن فيما يختبىء وراء الألفاظ وما يتلامح بين السطور ٠ ويبقى العمق واستبطان شخوص القصص رائد الكاتب وديدنه وربما سلك في بعضها اسلوب التداعي وفي بعضها سيكولوجية المدارس النفسية الحديثة ٠ فجاءت قصصاً فنياً رائعاً وان لم تستوف شروط التقنية كلها ٠ ولا يملك القارىء الا ان يتابعها بشوق ومتعة وما ان ينتهي من قراءتها حتى يشعر بأطباق تتحرك في ذهنه وتجوب خواطره راسمة دوائر ودوائر من التفكير في طبيعة هذا الانسان الذي شاهده منذ أويقات يتحرك على بياض الورق ويتنفس بين السطور ٠

ولكي تكون الصورة واضحة نعـرج على أقصوصة « الوصي » لنتمتع بخلجاتها الحية وومضاتها اللماحة: يشاهد ويتأمل ٠

الحزن يمشي صامتاً يمشي بعمامة وقار كما اعتاد أن يمشي ٠

أحياناً ينهمر الحزن دموعاً حارة على الأرض، وأحياناً يلف في منديل ، وآونة يصعد تنهيدة تخترق حنجرة كئيبة ٠

المدينة تودع بصمت ، وفي نفس الوقت تستقبـل بصمـت

المصابيح تنطفىء على جثث خمدت شموعها ٠ أستار صفيقة سوداء تنزل بغضب على النوافذ تكاد تتمزق ٠ ماذنبها ؟

حركة تخرق رونق الأخشاب ، فتحيلها الى نعوش وتوابيت ٠ نفس الحركة ، في فصيلة تلك الأخشاب نحيلها الى مهود ، بنفس المنشار ، وبنفس أغنية ذلك المنشار ٠ المنشار لايدري ٠ لم يعلم عنه في يوم مـن الأيام ان عينيه ترقرقتا بالدموع حزناً على فقيد ، أو تبرعم فرح على خديه ، ابتهاجاً باستقبال وليد ٠

لايدري ، لايفرح ، لايبكي ، لايهتم ، كما لايهتم ذلك الموظف الذي يجلس الى سجل الوفيات في (البلدية) ٠

ـ « زينب ماتت » ٠

تملى عليه بتنهيدة ٠

يكتبها في سجل الوفيات وهو ينفث الدخان مـن فمه ، منتظراً مرور الشهر ليشتري من أجرته الكحل وأحمر الشفاه لفتاته ٠

التنهيدة ، تبقى بدون تسجيل ٠ تترك لقيطة ، حتى تصطادها ذبابة من بين ماتصطاد ، وتمضي تطن بهـا طنيناً ، ولا من يسمع هذا الطنين ٠

سجل الوفيات في « البلدية » مكتوب بأحمر الشفاه ٠

■ ● ■

الخريف داخل البيوت والأكواخ : يعبث ، ويعصف ويشنق ، ويدمر ، ويهدم مابناه ربيع الحياة ٠

وجوه أطفال ، شيوخ ، وصبايا كساها الزعفران بلون القسوة ٠

تفتح الأبواب عن مواكب الحزن كل يوم ، وتمضي في طريقها الأسود المستقيم ٠

تلك اليد التي تمتد لشراء ورقـة اليانصيب ، وفي مؤمل صاحبها أنه سيكسب سيارة من النوع الرياضي لترافقه فيها حبيبته الى ملاعب الحياة ومباهجها لايهتم بهذه الجنازة التي تمشي أمامه ٠

لاحت له كتلة من الناس تمشي محتشدة وعلى بعض الأكتاف وهم هامد محمول ٠

التفت اليها ربع التفاتة ، ، ثم مضى راكباً سيارة أحلامه العارية ، ترافقه حبيبته الى المشارف الخضراء

■ ● ■

الحزن يمشي صامتاً ، صامتاً يمشي بعمامة وقـار كما اعتاد أن يمشي ٠

كما اعتاد « عبد الباقي » ذلك الذي يشاهد ويتأمل أن يمشي في كل جنازة ، جنازة ، يمشي مشيعاً هذه الجنازة ٠

لايعرف هذا الراحل ٠

هذه الوجوه الكئيبة المشيعة ٠ أيعرفها ؟

يجهل أغلبها ٠ يجهلها كلها ٠

نظرة فضولية تقذفها عينان نحوه ٠

■ ● ■

هذا الفضول يقول : « من هذا الغريب الذي يمشي في جنازتنا ؟ » ٠

« عبد الباقي » ، لم يعر اهتمامه لهذه النظرة الفضولية لم يقم لها وزناً ٠ اعتاد على مثيلات هذه النظرات ٠

هذه هي الجنازة الخامسة التي يشيعها في هذا اليوم ٠

انه من عائلات كل الموتى الذين يشيعهم ٠ كل ميت يدرج في مقبرته ، يعد نفسه سادساً له ولمقبرته ٠

هذا هو اعتقاده الراسخ ٠

انه وصي على الموتى ، يخدمهم ، يحاورهم ، ينفس عن كروبهم ، ينقل اليهم أخبار المدينة ٠ بتدقيق وأمانة ينقلها اليهم ٠ ولو كانت هذه الأخبار ستغضبهم ، ستبكيهم في قبورهم بدمع التراب والحصى والديدان ٠

يهتم بقبور الأطفال ٠ يقص عليهم حكايات :

« عائشة قنديشة » و « والقنفذ الضرير » و « الطائر العريس » الذي طار من نافذة الى نافذة ؟ ٠

اذا لم يهتم هو بالموتى ، فمن سيهتم بهم ؟

زوار شرف يأتون ٠ اذا أتوا من حين الى حين ٠

كثيرة هي القبور التي انطمست معالمها ٠ لا أحد يسأل عنها ٠

وكثيرة هي القبور التي اعيد حفرها مرات متعددة وبعثرت عظامها ولا أحد يسأل عنها ٠

عائلاتهم !؟

(يقول عبد الباقي في سره ، ويضيف) :

ذرفوا الدموع التقليدية في الأيام الأولى ، ثم غابوا ينقشون وجوه الأيام دراهم كبيرة تطمس احساسهم ٠

غاب اصحاب تلك العيون الباكية التي كادت تنزلق من محاجرها ، فتدرج في القبور وهم يوارون موتاهم التراب ٠ موتاهم الأحياء ٠

أعشاب هذه المقبرة واشجارها كلها مروية بمثل هذه الدموع الكاذبة ٠

خبرته الطويلة ، أملت عليه هذه الاعتقاد ٠

لا ٠ لن يتركوا مهملين ٠ لا أنيس ، ولا زائر ، ولا سمير ولا من يخبرهم كيف استؤنفت الحياة ، وكيف اصبحت وأمست ، بعد مارحلوا عنها محمولين ، وتركوا خلفهم كثيراً من المشاكل ، والمصاعب ، والمشاريع ، كانوا يجهدون للتغلب عليها ٠

من حقهم أن يعرفوا نتائج كل هذا ٠

■ ● ■

انه يجلس فوق قبر « السي سعود » :

(رحمك الله يا « السي مسعود » رحمة واسعة ٠٠ أولادك وبناتك وازواج بناتك وكل من له حظ في ارثك اشتعلت بينهم حرب ، أدت الى القطيعة والطلاق ٠ ابنتك « فاطمة » طلقها زوجها بالثلاث ٠ صهرك « مصطفى ؟ » — « مصطفى » الذي كنت تدلله وتدعوه بابنك الحبيب ٠ ماذا أقول لك عن هذا « المصطفى »؟ سمعته يشعتمك ٠ صدق يشتمك ٠ بعد ماطلق ابنتك « القضية مازالت في المحكمة بين اخذ ورد) ٠

■ ● ■

يقوم « عبد الباقي » وينتقل الى قبر « الهادي » :

(سلام عليك ٠

٠٠٠ وبعد ما حكمت المحكمة بأن الوصية مزورة ألقت العدالة عليه القبض ، وأودعته السجن • وهكذا انتهت قضية صديقك « عبد البر » الذي كنت تؤثره على جميع الناس ، لأخلاقه ، وأمانته ، وصدق محبته لك) •

يأخذ « عبد الباقي » حصيرته ، ويتجه نحو قبر طفل وهو يهيء ابتسامة على خديه ، وبينما هو في طريقه نحوه شغلته رفرفة غراب وهو يجوب في الفضاء وينعق نعيقاً اسود :

أيها الملاك الصغير • وقفت بنا الحكاية عندما طار الطائر العريس من قبة الملك ٠٠ أليس كذلك ياملاكي الصغير ؟

ومضى الطائر من غصن الى غصن ، ومن عش الى عش ، باحثا عن عروسه حتى عثر عليها على ضفة بحيرة •

حملها العريس على جناحيه ، ورفرف بها الى عشه الذهبي •

هنيئاً سعيدا أيها الملاك اليتيم • طرت الى قبرك بجناح مهيض •

لم تنعم بقبلة أمك • ولا بدفء حضن أبيك • سعيدا تنام • لاتعرف الوجوه • لاتعرف الأصدقاء • تجهل شيئاً تطير من أجله الرقاب ، وتحبك المؤامرات) •

■ ● ■

قالها « عبد الباقي » ، وهو يستند الى حافة قبر « أحمد » :

(طيب الله ثراك ياساكن هذا القبر •

٠٠ تركت المدرسة • وفرت مع فرنسي ، الى حانة بباريس أمها زوجتك لم تنفك باحثة وسائلة عنها في ادارة الشرطة • بعدما اعلنت في الصحف عنها ، جاءها تقرير يقول بأنها تعمل راقصة في « كاباري » بحي يدعى « مومارت » • الأم تنوي السفر الى باريس •

باعت الأقراط • باعت خاتم الزواج • بعد ثلاثة أيام ستسافر) •

جميع سكان المقبرة على علم بما يجري في مدينة : المحكمة والشرطة ، والسجن ، والكبل ، وبكل ماله علاقة بعائلاتهم وأقربائهم وأصدقائهم ، و ٠٠٠٠

■ ● ■

الحزن يمشي صامتاً ، صامتاً يمشي بعمامة وقار كما اعتاد ان يمشي •

الماء يلفظ آخر أنفاسه الرمادية على ملاءة الشفق المثخن بالجراح •

من بعيد ٠٠ من منازل المدينة المولية ظهرها نحو المقبرة ، تمتد أصابع ، فتقفل النوافذ والشبابيك وتنزل الستائر الصيفية السوداء عليها •

من احدى المداخن القريبة ، يعلو دخان كثيف ، ذو رائحة كريهة مندفعاً نحو اسوار المقبرة •

خنفساء تمشي الهوينى ، على صوت نقيق ضفادع على حافة لحد •

رجل في يده مصيدة ، وهو يطوف في دروب المدينة مفتشاً عن الكلاب ، ووراءه عربة مشحونة بها • من شباك العربة تطل بعض الكلاب ، وهي تحدق في الأفق البعيد البعيد ، باحثة تحدق •

لا أحد في المقبرة •

صمت رهيب يمزقه صوت خطوات « عبد الباقي » وهو يقترب من بابها •

في الظلام يلوح له كلب ، وهو يقتحم باب المقبرة ، متجها الى ٠٠٠٠ ترى الى أين هو متجه ؟ •

يرفع « عبد الباقي » بصره الى باب المقبرة •

فيقرأ بجانب بابها الأيمن :

« يمنع الدخول على الكلاب ») •

٧ _ ٥ _ ١٩٧٨

■ علي المصري

نور على نور

مطلب الحافظ

نور تألق أبد الدهر ومازال يحمل في طياته بذور الحقيقة التي يبحث عنها الانسان بحث التائه الحيران ، وبيان ساحر ملك قلوب الانس والجن على مدى الايام ، ومعان رفيعة تتسم بالعظمة ، وتتسربل بالصدق والواقعية التي تفتقر اليها قوانين البشر • كل ما فيه حق وخير وجمال ، وكل ما شرعه فيه السعادة التي نبحث عنها على الارض دون جدوى انه الشجرة المباركة التي نتفيأ ظلالها ونجد في كنفها الراحة والأمان ، والنبع الثر الذي نقترف منه دون نفاذ •

اذا مسك ضر وجدت في رحابه تفريجا لكربتك ، وان ضاقت بك سبل الحياة ذقت في كنفه الراحة والسكينة ، وان اصابتك مصيبة وجدت فيه بلسما لجراحاتك ، وسكنا لروحك وقلبك ، وان مرضت أمدك بأسباب الشفاء ، وان فشلت في أمر من أمور الدنيا خفف عنك ألمك وشرح صدرك ، وأن أصابك فقر عوضك عن فقر المال بغنى النفس وملأها بالرضى والقناعة • تقرأه في كل يوم بل وفي كل ساعة فلا يتسرب الملل الى نفسك ، لكنك تجد في كل لحظة معنى جديدا وطعما لم تذقه في المرات السابقة ، وعهدي بالكتب مهما ارتقت وبالشعر مهما سمت معانيه ، ورق خياله ، ودق تشبيهه ، وأحكمت قوانين قوافيه وبالقصة مهما جل موضوعها ، وارتقى حوارها ، وبالرواية مهما برعت في تصوير شخصياتها ، أقول : أنها جميعها تثير مللك اذا قرأتها مرتين متتاليتين ، ولن تعطيك معشارا مما يعطيك هو من حلاوة البيان ، وروعة الجرس ، وبراعة الموسيقا ، وتناغم الايقاع ، وانسجام الفواصل ، ودقة الوصف ، وجمال الرصف ، وسمو المعاني ، وغنى الافكار ، وتوهج الاحساس ، ومتانة السبك فكل لفظة استقرت في مكانها الطبيعي وكأنما حفرت في هذا الموضع ، فلا يمكنك ان تقدل لفظة أو تؤخرها ولو حاولت ان تأتي بعبارة واحدة شبيهة به لعجزت عجزا مروعا ، وأخفقت اخفاقا مريعا ، وطأطأت رأسك بذل العاجزين •

يحدثك القرآن الكريم عن الجنة فتهفوا اليها نفسك ، ويصورها لك فاذا هي حية شاخصة أمامك تستروح نسائمها ، وتناجي أطيارها وتشنف اذنيك بحفيف اغصانها ، وتدفق أنهارها ، وصليل حصبائها ، وتستبيك بحورها وولدانها ، فيغمرك فيض علوي من الهناءات ، وتنبهر لأنفاسك بروعة المشهد الشاخص أمام ناظريك بكل ما فيه من صدق وحيوية وحياة • يقول تعالى : (والسابقون السابقون ، أولئك المقربون في جنات النعيم ، ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين ، على سرر موضوعة ، متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون) صدق الله العظيم •

ويحدثك عن النار فيقشعر بدنك ويرتعد قلبك خوفا وهلعا حتى ليكاد يثب من بين ضلوعك ، وتسمع زفير جهنم وغضبها ، وتحس بلفح نيرانها وتطاير شرورها ، وتصاعد ألسنتها فتتجه بقلبك وحواسك الى خالقك تضرع اليه في قلب منيب ضارع ، أن يحميك منها ، ويجعل بينك وبينها

ستراً ، يقول جلا وعلا : (سأصليه صقر ، وما أدراك ما صقر ، لاتبقي ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليهـــا تسعة عشر) .

ويقول في موضع آخـــر : (ان شجرة الزقوم ، طعام الأثيم ، كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميـم ، خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيـم ، ثم صبوا فـــوق رأسه من عـذاب الجحيم ، ذق انـك انت العزيـز الكريم).

فالقرآن الكريم يصور لنـا هذه المشاهد النابضة بالحياة بطريقتـه الآسرة ، وبيانه الأخاذ ، وتتتالـــى الصور أمام أنظارنا بكل حيويتهـا ونضارتها ، وبكل نعيمها ونداوتها وبكل جبروتها وقسوتها ، وهو في كل الحالات رائع خلاب ، يأخـذ بمجامع قلبك وبأسرك ، ويحملـك بعيدا فوق أطباق السحاب ، لاهو بالشعر ولا هو بالنثر ، ولكنه كلام من نوع خاص ، ألف من كلام البشر ولكنه فوق قدراتهم ، وقد ضمـت ألفاظه الى بعضها بفعل قادر جعـل كل لفظة متممة لما قبلها ومسببة لما بعدها .

ماتناول القرآن موضوعا الا سما به ، حتى الغريزة فقـد صورهـــا بأسلوب نظيف يثيرفي نفس القارىء مشاعر النبل والسمو ففي لحظة من لحظات الضعف البشري كـاد يوسف الصديـق عليـه السلام آن تستهويه أمرأة العزيـز في مصر ، وكاد أن يلبي نداء الغريزة ،ولكن رحمة الله بعبده تدخلت في اللحظة المناسبة وأنقذت الموقف فما أروع تصوير القرآن للحظة العرى النفسي أو الجسدي حيث يقول : (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه، وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله ، انه ربي أحسن مثواى انــه لايفلح الظالمون ، ولقـد همت بـــه وهم بهـا لولا أن رأى برهان ربـه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) . صدق الله العظيم .

وحين يحدثنـا القـرآن الكريـم عن قصص الأنبياء يملك مشاعرنا بطريقة سرده للحوادث وتصويـره للأحداث ، وتقديمه للعبرة والموعظة ثم انتصار الحقيقة في النهاية مهـا استبد الباطل، فالحقيقة هي الخالدة وهي المنتصرة لأنها فيض من حقيقة كبرى هي الله ، فاطـر السموات والارض ، انه الحقيقة المطلقة التي تهزأ بكل الحقائق الأخرى .

وهذا الانتصار ما أبهاه وأعظمه عندمـا يلامس القلـوب المؤمنـة ، المطمئنة الى رحمة الله ، انهالاتنتقم ممن ظلمها ، ولا يداخلهـا الغرور شأن النفوس الضعيفة، لكنهاتزداد سموا ودنوا من ربها وخالقها ، فها هو يوسف الصديق قد فارق بلده وأهله وهو فتى لايتجاوز السابعـة من عمره ، وياليته خرج مسافـــراً أو طالب علم ، وانما تآمرت عليـه قوى الشر ، وألقت به في غيابـة الجب حسدا وغيرة، وهبطت العناية الالهية لتنقذ الفتى المؤمن ، وتذهب به بعيدا الى مصر ، ولكن قوة اخرى من قوى الشر تالبت عليه وهي امرأة العزيز التي ترفع عنها ، فزجت به في السجن ابتلاء واختبارا من الله، وما لبثت الحقيقة ان ظهرت بنقائها وصفائهـا ، وتبـوأ يوسف المكان المناسب له، وأصبح المسؤول الاكبر في مصر ، وأتى اليه اخوته الذين قذفوه في الجب صاغرين فقـراء ، فأطعمهم وآواهم وقربهم ، وارسـل في طلب أبويـه ، واجتمع الشمـل الشتيت بعد طول فرقة وحرمان ،فهل عرف الغرور طريقة الى نفس يوسف وقد ظفر بالجاه وبأعدائه معا ؟ وهل استعذب حلاوة اللقاء فنسي ربـه ولو لحظة واحدة؟ لم يحدث شيء من هذا ، لقد نبذ كل شيء وراءه وتوجه الى مولاه بقلبه وروحه وكيانه ،ودعاه بضراعة وتوسل : (رب قد آتيتني من الملـك ، وعلمتني مـن تأويـل الاحاديث ، فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين) .

لقد انتهت رسالة العبد الصالح فهو لايطلب من الله أن يمد في عمره ليحظى بلقاء أبويه واخوته ، لكـن نفسه تصفو ، وسريرته تنقى نقاء الثلج ، فيناجي ربه ويناديه نـداء عذباً نديا : (رب) بضمير المتكلم وكأنه يريد ان يسمعه وحـده ، ان كل ما أعطيتني ليس بمبدي عـن رحابك ، وأنا راغب عن هذه النعم لا احتقارا لها وانما رغبة فيما هـو أعظم ، انه لقاؤك ، ثم يرق الخطاب وترتعش الكلمات (توفني مسلما) ألحقني بك مسلما ، واجعلني رفيقا ولاحقا بعبادك الصالحين .

الدنيا لاتشغل المؤمن أبدا ، فهو في شغل عنها بالآخرة الخالـدة ، وما الدنيا أمام الحياة الاخـرى ؟ انها لاتساوي جناح بعوضة ، فـلا يليـق بالمؤمـن العاقـل أن تأسره وتخلب لبه مهما تقلب في نعيمهـا وأسوتنا فيذلك رسل الله جميعا.

هذا مشهد بسيط من مشاهـد القرآن الكريـم ، الكتاب السماوي الخالد ، الذيمهما تحدثنا عنعظمته سيبقى فوق الكلام ، وأسمى مـن البيان ، وما علينا الا ان نغترف من هذا الكنز الثمين والمنهل العـذب قبل فوات الاوان .

(دمشق : ملك الحافظ)

الهر الشارد

قصة
محمد المجذوب

لم يكن لي به من علم قبل ذلك اليوم الذي لاأستطيع ان انساه .. ومنذ ئذ فقط بدأت اعرف الكثير عن صفاته التي أثارت شفقتي عليه. والظاهر ان الذين ذكروا لي عنه ماذكروا لم يكونوا مبالغين ولا متزيدين ، ولأني وجدتهم مجمعين على ذلك ، على الرغم من اختلاف مسالكهم ومعايشهم ... فهو ينظر جميعهم انسان طيب ، بكل ماتنطوي عليه هذه الكلمة عند العامة ، من معاني البساطة وسلامة اللسان وحسن المعاملة والبعد عن الشرور. أما انقطاعه لبيع الخمور فشيء عادي بالنسبة اليه كنصراني لايرى في الخمر باسا ، الا ان يتجرع منها الشارب مايتجاوز حدود الاعتدال ، فيدخل حينئذ في نطاق السكيرين ثم بالنسبة لبيئة كطرطوس كثر فيها الخمارون والشاربون ، حتى بين المسلمين الذين يعلمون ان الله يلعنها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه ..

ولقد بلغ (التوفيق) بتوما .. هذا حدا جعله موضع الحسد لدى زملائه من اصحاب المشارب ، فعلى الرغم من حداثة عهده بهذه المهنة اصبح حانوته مهوى السكارى على اختلاف نحلهم ومراتبهم ، وقداسهم في زيادة الاقبال عليه موقعه الذي كان يشرف على الميناء الذي اكثر ما ترسو فيه فلك ارواد في ذهابها وايابها بين طرطوس وجزيرة أرواد مما يضفي على المنطقة مميزات لاتحظى بها الخمارات الأخرى فالحركة النشيطة ومنظر البحر تشقه السفن صباح مساء ، أشياء تستهوي الكثيرين من الشاربين ، يضاف الى ذلك حسن ذوق صاحب الحانوت الذي احسن ترتيب محتوياته ، وعدد ألوانها وأشكالها واستغل سعته فنشر فيه الموائد الانيقة ، محفوفة بالمقاعد الجديدة واحاط ذلك كله بعناية توفر للزبائن كل وسائل الراحة .. ومن هنا كانت مظاهر النجاح تتراءى في كل الحانوت .. فالشاربون غير قليل.

ومعظمهم من الضباط والطبقات الراقية .. وقلما تعوم خمارة في ذلك البلد لاتشتري حاجاتها منه ، وبذلك كان على حانوت توما ان يكون مشربا ومتجرا في وقت معا ، وبالتالي كان عليه ان يوسع دائرة عمله ، فيواصل الاستيراد من مختلف معامل الخمور ومستودعاتها فقلما يمر يوم دون ان يتلقى شحنة أو يسلم شحنة ولو صغيرة من تلك القوارير ذات الطوابع الذهبية الأنيقة .. ولامندوحةمن ان يستتبع ذلك توسعا مماثلا في ماعليه وماله من الديون ، فعليه الالاف وله مثلها ولو استطاع لخفف من تلك الأعباء ولكن الامر خرج من يده وبات كالهابط في منحدر لايستطيع ان يفكر حتى بالوقوف .

انه لينظر الى واجهات الحانوت الطويلة العريضة ، وقد امتلأت بضروب المعروضات من انواع الخمور ، حتى لايكاد يجد خلالها موضعا فارغا ، فلا يملك الا ان يشارك الخمارين الآخرين في

الاعجاب بما وصل اليه من ثروة ماكان ليحلم بها قبل عامين ، يوم بدأ افتتاح حانوته هذا بما لايزيد عن ألفي ليرة سورية وهو كل ماااستطاع توفيره من عمله في تقطير الخمور البلدية ، التي ورث صناعتها عن أبيه ومن تلك الورقة السعيدة التي وافاه بها الحظ من (اليانصيب) الذي لم يبتسم له قط قبل ذلك ، على كثرة مااشترى من اوراقه طوال خمس سنوات ٠

ولم لايعذر حاسديه وتحت تصرفه كل تلك الثروة المتحركة !٠ انه لايحسن تقدير ممتلكاته بصورة متيقنة ، كما انه لايملك فكرة واضحة عن مقادير الديون التي له وعليه ٠ وهو كذلك غير راغب في استقصائها وحسبه منها ذلك التصور العابر الذي يخيل اليه ان ماله على بعض الناس لن يقتصر عن مبلغ ماعليه لبعضهم الآخر ٠٠ وما زاد عن هذا وذلك ، أي كل هذه المعروضات ، فهو ملكه الشخصي ، وهو بنفسه ثروة طائلة تستحق ان يحسد عليها٠

وينطلق خيال توما ٠٠ الى ماوراء حدود خسارته ، مؤلفا الصور الشتى عن مستقبل جان ولده الوحيد الذي رزقه بعد عشر من السنين اليائسة ، فكان كانشعاع بدد ظلمات حياته وحياة زوجه ، التي كادت تصدق كل ما يشيعه جيرانها عن عقمها لولا رحمة الله ٠

لقد بلغ جان حتى الآن الخامسة عشرة من عمره ، وهو على وشك ان ينال شهادة الدراسة المتوسطة ، لينتقل بعدها الى المرحلة الثانوية ٠٠وعلى الرغم من توسطه في الذكاء ومحافظته على مكانه من العشرة الثانية ، لايرى في سلوكه مايؤسه من امكان تقدمه حتى يظفر بالثانوية ، ومن ثم يوجهه الى الجامعة لدراسة الطب ٠٠٠

ان أمله الضخم هذا قد ولد في هذا الحانوت ٠٠٠ وما كان ليراوده يوما قط لولا ذلك التوفيق الذي صادفه ، ولا يزال يمتد مع الايام ٠ ولا ريب ان صيرورة جان طبيبا أفضل ثمرة يتوقعها من حانوته السعيد ٠٠ وليس ذلك بالامر العسير أو البعيد المنال بعد كل ماينعم به من الرواج والاقبال ! ٠٠٠

وأطل الصباح ماتعا جميلا ٠٠٠ يلوح من بعيد بأشرعة الفلك ، التي أقبلت من ارواد تتهادى على ظهر أليم ، الذي بدأ كصفحة اللازورد لاتكاد تتحرك ٠٠٠ وامتدت المجاذيف على جانبيها تساعد الاشرعة التي اعوزها الهواء ، فراحت تشق متنه الصقيل في أناة ، فينتشر الذبد هاهنا وهاهنا ، ممتزجا بأشعة الشمس التي شرعت في تسلق الافق الشرقي ، فيلمتع متوجها كذائب الفضة ، ثم لايلبث ان يستقر وراءه كثلم طويل يخطه المحراث في صدر حقل رهيب ٠٠

وكان توما مشغولا عن مشاهد الفلك والبحر بالصناديق التي نقلها الحمالون عن ظهر السيارة الى داخل الحانوت ، وشرع الخدم في تصنيفها وترتيبها ، في حين جعل يعدها ليطابق محتوياتها على بيان الشحن ، عندما اخذ بصره على الشحن ، عندما ماأخذ بصره على حافة الشاطىء الرملي منظر أحد الراكبين ينفض كيسا من الخيش ، فينطلق منه هر ذهبي اللون ضخم الجثة ، ما يكاد يلامس الارض بقوائمه حتى جعل يقفز يمنة ويسرة ، كأنه يبحث عن شيء أو كأنه يريد ان يستوثق من المكان الذي هو فيه ، وماهي الالحظات حتى انقذف كالسهم باتجاه الطريق الفاصل بين البحر والحانوت ٠٠ واعترضته دراجة نارية ترسل ازيزها الذي لم يسمع من قبل في ارواد ، فاذا هو مأخوذ بمثل نوبة الجنون ، فلا يتمالك ان يندفع بأقصى قوته الى الحانوت توما يفتش عن ملاذ ينجيه ٠٠

حدث كل ذلك في أقل من دقيقة فلم يدع لتوما ولا لخدم الحانوت ومن حولهم من الحمالين مجالا لأي عمل سوى الصياح ، والركض في مطاردة الهر الشارد ٠٠ الذي سلب وعيه ، فراح يتغلغل بين صفوف القوارير ، وكلما انقلبت واحدة أجفل هاربا الى سواها ٠٠ وكلما فرغ من رف وثب الى مافوقه ، حتى لم تبق قارورة قائمة ٠٠٠

وتدفق سيل الخمور مختلطا بعضها ببعض حتى تجاوز نطاق الحانوت الى الطريق العام ٠

وفي الحق لقد آلمني مصاب توما يومئذ ٠٠٠ اذ علمت انه قد ذهب برأسماله وآماله جميعا ٠٠ وكثيرا ماكنت أمر به بعد ذلك وهو جالس الى بسطة الخضار ، التي حبس نفسه عليها ، فأستوضحه عن حاله٠ ويقدر عاطفي عليه فيكاشفني بما في نفسه من متاعب وما يعانيه في معاشه واسرته من مصاعب ٠٠٠ وأنبسط معه في الحديث بعض الاحيان ، فأذكره بأن عمله في بيع الخضار أعود بالبركة عليه من تلك الخمور ، التي لاتمنحه القرش الا على حساب صحة الاخرين من المضللين ٠٠٠ فلا يملك الا ان يهز بالموافقة على ماأقول ٠٠٠ حتى كان ذلك المساء وقد قصدت الى زيارته بعد انقطاع غير يسير ٠٠٠ وعلى دأبي جعلت أسأله لعلي اسمع منه مايطمئن على وضعه ٠٠وشد ماكانت المفاجأة قاسية عندما لفت نظري الى ذلك الفتى القابع في ركن من حانوته العاري ، وقد لفت قدمه اليمنى ببعض الأربطة الكثيفة ، وامسك بيده عصا ذات متكأ يستعين بها على السير ٠٠ وقال لي في لهجة تشبه البكاء ٠

ـ انه جان ٠٠٠ ولدي ٠

ـ لابأس عليه٠٠ وماذا يشكو؟٠

وأطرق قليلا قبل ان يجيب ، ثم رفع الي عينين لا أدري اذا كنت لمحت فيهما الدمع ، ثم أردف :

ـ لقد زلقت قدمه بقشرة موز طرحها مستهتر في طريق المدرسة ، فانفكت مفاصلها ٠٠٠ وكلفنا ذلك اجراء جراحتين ٠ ولا يزال بانتظار الثالثة ! ٠٠

ولم اطق البقاء طويلا بعد الذي سمعته ولم استطع التعقيب على كلام الرجل بشيء ، فتركته ومضيت أفكر بهذه المأساة ، التي بدأ فصلها الأول هر ، وصنع فصلها الثاني مستهتر ! ٠٠٠

يا حلوة الثغر

الدكتور جميل علوش

وحدي مع الليل لابدر ولا شهب
شط المسير وخلان الوفا ذهبوا

قد كنت أشكو اغتراباً عن ثرى وطني
واليوم أرحل عن نفسي واغترب

ولي جناحان قص الحزن ريشهما
فليس لي بهما لهو ولا لعب

اذا اندفعت الى أعلى الذرى عصفت
بي الرياح وسدت مسلكي السحب

أجر فوق دروب الشوك اجنحتي
وهمتي في الذرى تسمو وتضطرب

انا الأنين أنا البوح الحزين أنا
الجرح الثخين أنا الشكوى أنا الغضب

ياحلوة الثغر لو تدرين ماصنعت
بي الأظانين في مناك والريب

غدوت أتعس محزون على شفتي
لحن من القلب في الظلماء ينسرب

وتسأليني عن همي وعن وصبي
وأنت لو تعلمين الهم والوصب

رحلت فالقلب في منآك منقبض
والنفس حائرة والفكر منشعب

وقد تهون النوى لو ان موعدنا
ياحلوة الثغر بالتسليم يقترب

لكن ظني أنا لن تجمعنا
الدنيا ولن يتسنى في لقا ارب

اليس من نكد الدنيا وقسوتها
أني بمنفاي عن عينيك محتجب

وانني منك رغم الحب صفر يد
وانني لك دون الناس مجتنب

وان يمتع من مسراك كل خل
ولا يمتع منك العاشق الوصب

وأن تمر الأماسي الزهر في بلدي
وليس يجمعنا من حبنا سبب

أقصيت عني ولم تنجز روايتنا
في الحب شهراً لعمري ان ذا عجب

أبعد ما مر عام من تنظرنا
نرنوا الى ساعة اللقيا ونرتقب ؟

يمر كالطيف شهر خلت مطلعه
نبعاً يبل به الحرمان واللغب ؟

شهر هو السحر من عينيك ينسرب
شهر هو الجود من كفيك ينسكب

أسديت أثمن مايسدي كريم يد
وكنت أكرم من يعطي ومن يهب

ولا ألومك في منع بدأت به
فالكنز ان لم يصنه المرء ينتهب

وللعطاء مقاييس يقاس بها
يغلو به الصفر أو يسترخص الذهب

كم قبلة لك قد مرت على شفتي
كما يمر على وهج اللظى اللهب

أودعتها خفقات القلب جامحة
لا القيد يخنق نجواها ولا الحجب

وسدتني ساعدا عبلا تدل به
الغيد الحسان وتزهو الخرد العرب

وقلـت والطـرف قـد مالـت بـه سنـة
وراح يقـرب مـن هـدب بـه هـدب

ياليتنـي بـازاك الـدهـر باقيـة
وليـت أنـك منـي الدهـر مقتـرب

وليـت هانـيء جفنـي لا ينفـره
صـدى وينمحـق التاريـخ والحقـب

وكنـت في غمـرات الشـوق يرفعنـي
تيـه الـى الأفـق الأعلـى ويجتـذب

أخـال نفسـي فـي حلـم تظللهـا
فيـه الغصـون ويحنـو فوقهـا العشـب

في كـل موقـع طـرف قـد خطـرت بـه
ذكـرى يشـب لها قلبـي ويلتهـب

تـدري مسالـك عمـان وأدربهـا
ونحـن كالطيـر فـي أطرافهـا نثـب

أي الحكايـات قـد كانـت تدغدغنـا
وأيهـا كـان يصبينـا ويختلـب

يفتـح الشـوق فيهـا الـف مضطـرب
لنـا مـن القـول أمـا سـد مضطـرب

نخـوض في كـل عـذب مـن مسالكـه
ولا يضيـق بنـا عـذل ولا عتـب

تلـك الشجيـرات لـي في ظلهـا حـرم
قلبـي الحزيـن بـه يجثـو ويكتئب

اذا يلـم بهـا طرفـي علـى عجـل
تكـاد تقتلنـي الأحـزان والكـرب

لعـل مـن سوء حظـي أنهـا قـدري
فلسـت أملـك أجفوهـا واجتنـب

لـي في الصبـاح عبـور عـن ميامنهـا
وعـن مياسرهـا فـي الليـل منقلب

قـالـت وقـد رحـت للتوديـع اصحبهـا
وراح مـن مقلتيهـا الـدمـع ينسـرب

هـذي الشجيـرات هـل تنسـى مجالسنا
فيهـا وقـد هزنـا للملتقـى طـرب ؟

اذا مـررت بهـا عجـلان عـن عـرض
وراح قلبـك بالأحـزان يصطخـب

فـاذكـر متيمـة ان غبـت يغمرهـا
شـوق يخـف الـى اللقيـا وينجـذب

عهـد لعينيـك ان ارعـى ودادك لـي
وان اصونـك فـي سـري كمـا يجب

لئـن تقلـص ظـل منـك عـن بصـري
وراح يرتـد عـن عينـي وينسحـب

فـان وجهـك فـي عينـي مرتسـم
وان شخصـك فـي جفنـي منتصـب

وان ذكـراك فـي قلبـي مخلـدة
يجـري بهـا الـدم أو يسري بهـا العصب

وحسـب نفسـي رسـم منـك يؤنسهـا
تزهـو بـه الدار والساحـات والرحـب

■ ● ■

ياحلـوة الثغـر مازالـت تساورنـي
اليـك مـن فـرط وجـدي رغبـة عجـب

كـأس من الخمـر لـم تحلـم بهـا شفـة
ولا الـى أمهـا في الكـرم تنتسب

زرقـاء يرقـد فـي أغوارهـا الـق
صـاف ويطفـر في حافاتهـا حبـب

بينـي وبينـك اسـرار اظـن بهـا
وانـت تدريـن مـا المغـزى وما الطلب

فيـا لصهبـاء تشفـي غـل شاربهـا
وليـس يعـرفهـا كـرم ولا عنـب

ـ جميـل علوش ـ

ابو الريحان البيروني

عبقرية خالدة عبر العصور

حسني محمد بدوي

استهل مقالي عن ابي الريحان البيروني بمقدمة موجزة عن فضل العرب والاسلام على العلوم والفكر على الثقافة الانسانية ، وذلك من خلال بعض اقوال نخبة من مؤرخي العلوم واساتذة فلسفة الحضارة ..

وليس من المستطاع في هذه العجالة ان اتناول باستفاضة شخصية البيروني وسيرته أو كل مؤلفاته ورسائله ومخطوطاته المتعددة ذات العلوم المختلفة والموضوعات المتنوعة ، لأن الالمام التفصيلي بالتراث الثقافي للبيروني انما يستلزم الجهد الكبير والمجلدات الكثيرة .. وليس المجال هنا بمتسع .. فمن تتوق نفسه للبحث والدرس والتعمق والتمحص ، عليه ان يرجع الى مايستطيع ان يصل اليه من مؤلفاته التي سنذكرها في موضعها من مقالنا اليوم ..

■ يقول « كاربنسكي »

« ان الخدمات التي أداها العرب للعلوم غير مقدرة حق قدرها من المؤرخين وان البحوث الحديثة قد دلت على ديننا للعلماء والمسلمين الذين نشروا نور العلم حينما كانت أوربا غارقة في ظلمات القرون الوسطى ، ولم يقتصر العرب على نقل علوم الاغريق ، بل زادوا عليها ، وقاموا باضافات هامة فيها » .

■ ويقول « فرانز روزنتال » : (١) « ان اعظم نشاط فكري قام به العرب ، يبدو جليا في حقل المعرفة

التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ،فانهم كانوا يبدون نشاطاً واجتهادا عجيبين ، حين يلاحظون ويمحصون ، وحين يجتمعون ويرتبون ماتعلموه مـن التجربة أو أخذوه من الرواية والتقليد ، وكذلك فـان اسلوبهم في البحث أكبر مايكون تأثيراً عندمـا يكون الأمر في نطاق الرواية والوصف .. وبصفتهم مفكرين ومبدعين قد أتوا اعمالا رائعة في حقلـي الرياضيـات والفلك ، وللسبب ذاته نجح العرب في باقي العلوم ».

■ ويقول العالم « ليبري » « لولا العـرب لتأخر عصر التجديدفي اوروبا لمدة قرون، فقد لمع العرب في كل الميادين العلمية ، وفي الوقت الذي كان فيـه الشعراء والأدباء والفقهاء يقومون بأدوارهم فـي نهضة العرب الروحية والنفسية والخلقية ، كان العلماء فـي كل الميادين يقومون بقسطهمفي البحث والنقل والتجويد ولم يتركوا بابا الا طرقوه ، ان لم يكونوا قد فتحوا في العلم أبواباً جديدة » .

■ أما « ديلاسي اوليري » (٢) فيقول : « لو ازيـل العرب من التاريخ لتأخرت النهضة الأوروبية بضعـة قرون ، فقد علمت الأمة العربية الغرب بعد ان ايقظتـه خمسة قرون أو ستة ، وحتى أواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا لاتـزال تناقش في جامعـة (مونبلييه) بجنوب فرنسا » .

■ وقال « جوستاف لوبون »
في كتابه « حضارة العرب » : « كلما تعمق المرء فـي دراسة المدنية العربية تجلت له امور جديدة واتسعت أمامه الآفاق ، وثبت له ان القرون الوسطى لم تعرف الامم القديمة الا بواسطة العرب اصحاب الفضل في مدنيـة اوربـا » .

■ ويقول الدكتور عبد الحليم منتصر : « ثالث ثلاثة ازدهت بهم الحضارة العربية في عصرهم ، اولئك هم:

١ ـ ابن سينا (*)

٢ ـ وابن الهيثم .

٣ ـ والبيرونـي ... » .

فمن هو البيروني ؟

هو : ابو الريحان محمد بن احمد البيروني .

ولد في الثاني مـن ذي الحجـة عام ٣٦٢ هجريـة (الموافق ٤ سبتمبر عـام ٩٧٣ ميلادية) وذلك فـي ضواحي مدينة (كات) عاصمة دولة (خوارزم)، وهي المدينة التي تعرف الآن باسم (البيروني) وتقعشمال مدينة (كييف) على نهـر (أموداريا) بجمهوريـة (اوزبكستان) السوفييتية .

ويقول البيروني عن نفسه : « أنا في الحقيقة لاأعرف نسبتي ولا اعرف من كان جدي » !

.. (وتتنازع كثير من الأمم في العالم على انتساب البيروني اليها ، ومن هذه الامم : روسيا وتركيا وايران فـيرى علمـاء روسيا ان البيرونـي يمثـل القوميـة الاوزبكستانية ـ ولكن الحقيقة الثابتة ان البيروني كان عربياً في لغته التي كتب بها مؤلفاته ورسائله .. كان عربياً في روحه وثقافته.. كان يدين بالولاء الى عروبته ولا يرضى ان ينسب الا الى العـرب ... وهو الـذي قال : الهجو بالعربية أحب الى من المدح بالفارسية)(٣) وقد اخذت دائرة المعـارف البريطانيـة أيضا بنسبته العربية . (٤) .

... وتنطق (البيروني) بكسر الباء وسكون الياء وضم الراء وبعدها الواو وفي اخرها النون ، وهـذه نسبة الى (خوارزم) وتعني بالفارسية (البراني) أو (خارج المدينة) وذلك لاشتغال عائلة البيروني ـ فيما يقال على الأرجح ـ بالتجارة خارج المدينة .

ولكن ابن ابي اصيبعة في (عيون الأنباء) يقول :

ان البيروني منسوب الى (بيرون) وهي مدينة بالسند وقد اخذ بهذه النسبةالأستاذ احمد أمين (٥)٠ويقول الاستاذ علي احمد الشحات في كتابه عن البيروني :

« ٠٠ ولكن اتضح عدم صحة ذلك ، اذ لم يكن أبو الريحان سنديا ، وكذلك لاتوجد مدينة في السند تعرف باسم (بيرون) ! » ٠ وهذا الزعم الأخير غير صحيح ، اذ وجدت مدينة عرفت باسم (البيرون)كانت تقع على مصب نهر السند !

وقد رحل البيروني عن موطنه وهو لايزال شاباً يافعاً ، وتوطدت علاقته بابن سينا ، ودرس علوما عديدة ولغات مختلفة ، رحل الى الهند فحمل معه الحكمة والفلسفة الاسلامية وفي الهند احاط بكنوز العلم عند الهنود وتعرف على ادابهم وفلسفاتهم فبعد ان درس اللغة السنسكريتية واتقنها،كما درس عقائدهم وعاداتهم وعلومهم وضمنها كتابه العظيم : « تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة » ٠

ويقول الاستاذ ـ نفيس احمد الاستاذ بجامعة (كلكتا) بالهند :

« يعد البيروني احد عظماء العالم في التاريخ ، وهو يحتل مكانة فريدة بين علماء المسلمين ، اذ هو عالم مؤرخ ، طبيعي ، جيولوجي ، فلكي ، رياضي ، كما درس التقاويم والطب ويتمتع البيروني بحاسة جغرافية حاذقة ٠٠ » ٠

بل كان البيروني عالماً في اللغات ، وله المام واسع بعلم الآثار القديمة والتاريخ الطبيعي لاجناس البشرية وعلم الأديان المقارن وعلم الأخلاق وعلم السلوك ويمكن أن يعد من الفلاسفة ، كما بذل في أخر حياته عناية فائقة بعلم الأدوية وتاريخه وبعلم المعادن والجواهر ، وشارك في مجالات الأدب والشعر والفقه ٠٠ وكان يتمتع بعقلية موسوعية فريدة ، وقد وضعه علماءالغرب والشرق في مصاف أرقى العقليات العلمية في الوقت الحاضر ! وهناك من قال من علماء الغرب المعاصرين : لو كان البيروني حياً اليوم لاستحق بجدارة جائزة (نوبل) !

أما عن مؤلفاته ، فقد ادرج البيروني بيانا بمعظمها في مخطوطه (الفهرس) ومن أهمها كتابه « القانون المسعودي » وهو يعد اعظم موسوعة في علوم الفلك والجغرافيا والهندسة والرياضيات وينتهج فيه المنهج النقدي الموضوعي ٠٠ وللبيروني عدة مخطوطات علمية منها مخطوط : (راشيكات الهند) وكلمة (راشيك) معناها (موضع) وكلمة (راش ، معناها : (برج)أي برج مراقبة النجوم والكواكب السماوية٠ كماللبيروني كتاب بعنوان (الرسائل المتفرقة في علم الهيئة) ـ وقد قامت دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن بالهند بطبعه سنة ١٩٤٨ ـ أما كتابه (الصيدلية في الطب) فقد نشر في برلين عام ١٩٣٢ ، ومن اهم كتب البيروني في علوم المعادن والبلورات والفلزات هو : (الجماهر في معرفة الجواهر) ،وقد قام بتحقيق بعض فصوله المستشرق الألماني «ادوارد سخاو» ونشر في الهند ٠٠

ومن أول مؤلفات البيروني الكبرى ، كتاب : (الآثار الباقية في القرن الخالية) ويبحث في التقاويم ،وترجم الى اللغة الانجليزية وطبع في لندن عام ١٧٨٩ ٠

ونذكر في مايلي بعض رسائله وكتبه الشهيرة :

« التفهم لاوائل صناعة التنجيم » و « جوامع الموجود لخواطر الهنود » و « تحديد نهايات الامكان لتصحيح مسافات المساكن » و « الدستور في الفلك » و «كرية السماء » و « امتحان الشمس » و « الارشاد في احكام النجوم » و « في تحقيق منازل القمر » و « أفراد المقال في أمر الظلال »و « التطبيق في تحقيق حركة الشمس» و « جدول الدقائق » و « جدول التقاويم » و «المسائل

الهندسية » و « والمسامرة في اخبار خوارزم »وغيرهـا من الرسائل والمخطوطاتفي الطب والتاريخوالجغرافيا والرياضيات والظواهرالجوية والآلات العلميةوالنيازك والشهب ، وترجمات لهندسة (اقيليدس) الى اللغـة العربية وفي قياس محيط الأرض ، ومايسميهالغربيون بـ (قاعدة البيروني) ، وله دراسات وأبحاث فيعمر الأرض والبراكين والزلازل والتحولات الجيولوجيـة ، وفي تأثير رحلات العرب في لغات الشرق والغرب ،وله ابتكاراتعن طريقوضع خرائط الأرض والسماء· وقد قام البيروني بتصحيح جغرافية (بطليموس) ! ··كما تعرض بالعرض والتحليل لنظرية (تناسخ الأرواح) عند الهنود في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولةمقبولة في العقل أو مرذولة » ·

وقد بلغت كتب البيرونـــي ١٨٠ كتابـاً ضـــاع الكثير منها ··

ونختتم مقالنابما قالهعنه المستشرق الألماني(شاخت)

« كان البيروني يتمتع بشجاعة فكرية فائقة ، وكان مولعاً بالاطلاع العلمي أشد الولع ، بعيداً عن الأوهـام محباً للحقيقة ، متسامحا ، مخلصا لأبحاثـه العلميـة اخلاصاً نادراً ·· » ·

ومن المرجح ان البيروني قد توفي في ٣ رجب عـام ٤٤٠ هجرية (الموافق ١٣ ديسمبر عام ١٠٤٨ ميلادية ·

وقد احتفلت مؤتمرات عديدة فـي العالـم الغربـي بمناسبة مرور ألف عام على مولده فأصدرت اكاديميات العلوم السوفييتية والأوربيةوالهندية مجلدات دراسية تذكارية اعترافاً بفضله على العلم والثقافة الانسانية كما شاركت في ذلك هيئة (اليونسكو) منذ سنوات عديدة فنشرتدليلا (ببليوجرافياً للقيم الثقافيةالعربية حوى بين دفتيه تعريفاً بالكثير من اعمال ابي الريحان البيروني الخالدة عبر العصور ··

فهل قام العالم العربي والاسلامي ، بمثل مافعـــل الغربيون من واجب التقدير وحباً في تراثنا العلمـــي وكنوزنا الثقافية ؟!

واذا كانت اصالتنا تنطوي على كل هذه الذخائـر التي كانت نتاجـاً موسوعياً فـي عصر عربي اسلامي مجيد قد مضى وانقضى ، فانظر كيف ، ولماذا اصاب التدهور عصرنا وثقافتنا اليوم ؟!

■ **حسني محمد بدوي**

■ ● ■

■ **ان مقولات هذا الموضوع تضمنتها المحاضرة التي القاها الكاتب في المركز الثقافي الألماني (معهد جوتة) بمدينة الاسكندرية في مساء الثاني مـن شهر نوفمبر ١٩٧٧ ·**

(١) فرانز اوسنثال فـي كتابه : مناهـج العلمـاء المسلمين في البحث العلمي ·

(٢) د · اوليري فـي كتابه : فكر العرب ومكانتـه في التاريخ ·

(٣) أبـو الريحانـي البيروني للاستاذ علي احمـد الشحات ·

دائرة المعارفالبريطانية ـ المجلدالثالث صفحة٧٦٠

(٥) ظهر الاسلام ـ الجزء الأول ·

---*---

حوار مع الشاعر الباحث

محمد عبد الغني حسن

حسين علي محمد

انضم أخيراً الى مجمع الخالدين (مجمع اللغة العربية بمصر) الشاعر الكبير الأستاذ محمد عبد الغني حسن .

ومحمد عبد الغني حسن ولد بمدينة المنصورة بمصر في ١٩ من اغسطس سنة ١٩٠٧ من أبوين من مركز ببا محافظة بني سويف . وقد حصل على ليسانس كلية دار العلوم سنة ١٩٣٢ . وقد كتب في الدراسات الأدبية أكثر من عشرين كتابا منها : الشعر العربي في المهجر - جوانب مضيئة في الشعر العربي - فن الترجمة وغيرها . وله في الشعر عدة دواوين أولها « من وراء الأفق » وآخرها « سائر على الدرب » .

قد كان هذا الحوار معه في ١٠ - ٥ - ١٩٧٧ .

● **كيف يمثل التراث تياراً دافعاً في حركتنا الأدبية؟**

- أرجو من القارىء « العصري » ان لايعد توجيه هذا السؤال من ناحية ، ومحاولة الجواب عنه من ناحية أخرى بعداً عن روح العصر واغراقاً في « السلفية » التي يؤسفني أن الجيل الحديث قد انصرف عنها ، وقطع مابينه وبينها .. وكأننا ياأخي أصبحنا نعيش على اللحظة الحاضرة ، وعلى الساعة التي نحن فيها . وكأن مابيننا وبين ماضينا قد أنبتت أواصره ، وتقطعت أسبابه .. فصار جيلنا المسكين منقطعاً عن ماضيه مبتوتاً عن جذوره ، وصار كالولد اليتيم الفريد ، لاسند له من والدين ولا كيان له من أسرة ، ولا مرجع له من أهل ، وكيف يعيش مثل هذا اليتيم الحائر الضائع ؟

ان من لاماضي له يحاول ان يخلق له ماضياً يعود اليه ، وقد رأينا امريكا كلها - بشمالها وجنوبها - وهي حديثة الميلاد ، حديثة التاريخ بالنسبة الى أمم أخرى عريقة الأنساب ، تحاول ان تخلق لها ماضياً مقدساً من ماضيها القريب الذي لايتجاوز ثلاثة قرون أو اربعة .. ورأيت بعيني في البرازيل كيف يتشبث القوم هناك بكل أثر أو معلم أو بناء لايزيد عمره على مائة عام فيقيمون حوله الأسوار ويجذبون اليه الأنظار ويسجلونه على أنه أثر من الآثار . ورأيت القوم في شمالي البرازيل يتحدثون أعجب الأحاديث عن كنيسة بلغ عمرها قرابة ثلاثمائة عام ، ويعدونها تراثاً عالياً وذخراً تاريخياً ثميناً .. فما بالك بتراثنا وآثارنا وهي ترجع الى عشرات المئات من السنين ؟ وما بالك بتراثنا العربي وهو يرجع الى خمسة عشر قرناً ؟

ألا يدركك الزهو ياأخي ويغمرك شعور العزة وأنت تقرأ قصيدة لامرىء القيس ، أو للنابغة الذبياني ، أو لعمرو بن كلثوم كما كان يقرؤها هؤلاء القوم منذ أربعة عشر قرناً ؟ وتفهم نصوص هذه الأشعار كما كان يفهمها

أصحابها وسامعوهم ، الا ماحدث من غرابة بعض الألفاظ التي أضاعها عدم الاستعمال ، فان الاستعمال هو في ذاته تجديد دائم للغة واحياء مستمر لها ٠

ونحن لانتشبث بالتراث لأنه شيء قديم أو أثرعتيق ولكننا نطلبه بالحاح لنصل مابين ماضينا وحاضرنا فلا ينقطع ذلك الرباط الوثيق الذي يشد أزمان الأمة كلها بعضها الى بعض ٠٠ وقد يكون في التراث القديم مالا يلائم حضارتنا المعاصرة ، لأنه كان مناسباً في زمانه ، ومواتماً في ابانه وملائماً لأذواق أهله واحتياجاتهم في عصورهم القديمة ٠ ولكننا نستطيع أن « نحول » هذا التراث الى مجرى حياتنا المعاصرة وان نجعل منه مادة ملائمة لزماننا هذا ، وأن نبني عليه أسس حضارتنا الحديثة ٠

ألست ترى معي ان أوربا في عصر نهضتها قد التجأت الى اللغتين القديمتين : اليونانية واللاتينية ، وجعلت منهما سبباً لقيام نهضتها ؟ ثم ألم يعلم هؤلاء المتنكرون لتراثهم العربي ، أن الثقافة اليونانية واللاتينية كانت هي الأسس في مدارس اوربا وجامعاتها منذ العصور القديمة ؟ ولولا روائع اليونان والرومان في الفكر والفلسفة والخطابة والأدب والقصة والتاريخ والرياضة لما بلغت اوربا ذلك المبلغ العظيم الذي وصلت اليه منذ عصر نهضتها ٠

فأوربا الواعية العاقلة ، والغرب المتنبه اليقظ لم يمسك بفأس ليحطم ثقافة اليونان والرومان ، ويقول عنها انها ثقافة عتيقة غير ملائمة ، ولكنه أخذ هاتين الثقافتين واجراهما مجرى حياته المعاصرة ، واستخرج منهما مادة صالحة و « خامة » عظيمة لاسباب تقدمه الفكري ٠

وما أحوجنا نحن ازاء تراثنا العربي الى نشرة وتقبله ونخله وغربلته واستخراج اكثر ما فيه ملاءمة ونفعا لزماننا الحاضر ٠ لن يكون ذلك الا بالنشر العلمي الصحيح لذلك التراث ، وتحقيقه على أسلم أسس التحقيق ، والافادة منه في المجالات التي يحتويها ٠

وأذكر لك على سبيل المثال كتابين يعدان من مفاخر التفكير الاسلامي : وكانا ــ ولايزالان ــ رائدين في موضوعهما ٠ أما الأول فهو كتاب (السير الكبير) للامام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الامام أبي حنيفة وصاحبه ، وقد شرحه الفقيه السرخسي فكان الأصل والشرح من معالم الفقه الدولي الذي تزعم أوربا أنها السابقة فيه ٠٠ مع أن العرب والمسلمين هم أصحاب الفضل الأول فيه ٠

فهذا الكتاب الثمين جدا يعد مصدرا قديماً اسلامياً للقانون الدولي ٠ ويكفيه انه ــ حتى بعد عصر الرومان أول كتاب عالمي في الأحكام والقوانين الدولية المتصلة بالحرب والسلم وآداب الجهاد والأمان والعهود ومعاملة الأسرى على أسس من العبقرية الاسلامية والنزعة الانسانية التي تميز بها الاسلام في تشريعاته ومعاملاته ٠

أما الكتاب الثاني فهو كتاب (أدب القضاء) لقاضي القضاة شهاب الدين ابن أبي الدم الحموي الشافعي المتوفى سنة ٦٤٢ هـ ٠ ويقدم هذا الأثر النفيس للمشرع العربي نموذجا عاليا رفيعا في نظام القضاء عاماً وعملا ٠ ويضع بين رجال التشريع أثراً فريدا في نظام المرافعات وأصول التقاضي ٠ ونظام الدعاوى ابتداء من رفع الدعوى ، وانتهاء بصدور الحكم وتنفيذه وكأن مؤلف هذا الكتاب ــ وهو من رجال القرن السابع الهجري ــ يضع تشريعا قضائيا لهذا العصر الحديث الذي نعيش فيه ٠

وتحقيق مثل هذه الكتب التراثية ونشرها اليوم هو احياء للفكر العربي ، ووصل له واجراء له الى مجرى العصر الحديث ٠٠ فهو ليس اعتزازا بتحفة

قديمة ثمينة ، ولكنه انتفاع بها ، وتحويل وجه النفع بها الى جيلنا الحاضر ·

ولقد كانت مصر نشطة منذ اكثر من عشرين عاما الى احياء التراث على اسس سليمة ، وكان عندها نخبة من المحققين من امثال الأساتذة : أحمد محمد شاكر ، واحمد زكي العدوي ، ومحمود محمد شاكر ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، والسيد صقر ، وعلي محمد البجادي وغيرهم من أهل الفضل والعلم ممن يحول المقام بيننا وبين نشر اسمائهم · ولكن بعض البلاد العربية اليوم قد دخل في هذا الميدان فأحسنه· وهنا نذكر بالاعجاب تلك الجهود الرائعة الموفقةالتي يقوم بها مجمع اللغة العربية بدمشق ·

في هذا السبيل ، فمطبوعاته التراثية حافلة ،وتمتاز بالتحقيق الجيد ، والاخراج الأنيق ، والطبع السليم الخالي من الأخطاء والتحريفات ·

ان حركة النهضة الأدبية في مصر في القرن الماضي قد قامت على أكتاف حركة احياء التراث العربيونشره وجهود المطبعة الأميرية في هذا المجال لاتنكر · فلما اطلع الناس على كتب التراث التي طبعت وأزيح عنها الظلام تفتحت عيونهم على روائع من الفكر العربي والأدب العربي تنبهوا لها ، وحاكوها · ومحمودسامي البارودي وعبد الله فكري ، والشاعر شهاب الدين وعلي أبو النصر ، ومحمود صفوت الساعاتي ، وعثمان جلال ،والشيخ حسن العطار ،والشيخ حسين المرصفي (صاحب الوسيلة الأدبية) ، وابراهيم المويلحي والشيخ علي يوسف ، هم بعض نتاج هذه النهضة ·

وكذلك الفترة التي أنجبت طه حسين ، وأحمد أمين ، والعقاد · والبشري ، ومصطفى الرافعي ، و المازني وصادق عنبر ، وأحمد ضيف ، ومحمد عبد المطلب · وأحمد الأسكندري وعلام سلامة · وغيرهم · فقد قرأ هؤلاء كتب التراث المطبوعة · وأفادوا منها فائدة عظيمة ، بل كان بعضهم يحفظها عن ظهر قلب ·

فلا أمل لنا في تقدم الحركة الأدبية ا لابالرجوع الى التراث العربي · ولعله من الملاحظ ان الأدباء الذين يتمتعون اليوم بأصالة وعمق أدبيين هم أكثر الأدباء اتصالا بالتراث العربي ورجوعاً اليه ·

ولا تعوزني الأمثلة من أمثلة : د · شوقي ضيف ، و د · حسين نصار ، وعلي أدهم المفكر ، وسلامة موسى ، وعبد الحميد العبادي المؤرخ ، و د · احمد الحوفي ، و د · بدوي طبانة ، و د · زغلول سلام سلام وغيرهم ·

■ مارأيكم في حاضر الأدب العربي : ابداعاً ونقداً؟ وهل تقوم المجلات الأدبية بدورها في اثراء الحركة الأدبية ؟ ·

على الرغم من طروء بعض العناصر المسببة (للهزال) في الأدب العربي الحاضر ، فانني لست متشائما من غيره · وما تلك العناصر المعوقة الا طوارىء عارضة قد يكون لبعضها بريق خادع ـ كحركة الشعر الجديد ولكن البقاء دائماً للاصلح · لقد كان ظهور كتاب واحد جيد يعد علامة من علامات الزمن ، أو معلما من معالم الطريق · فقد كان كتاب « طبائع الاستبداد » مثلا للكواكبي ـ بشرى بزلزلة قواعد الحكم المستبد المطلق وظهور الحكم الشورى في العالم العربي · وقد كانت (عبقريات) العقاد نواة لتغيير كتب التراجم والسيرة في الأدب العربي الحديث · وقد كان كتاب مثل كتاب » قضايا الفكر في الأدب المعاصر« للأديب المفكر الرصين وديع فلسطين ايذاناً بانشغال الأفكار بهموم الفكر العربي وقضاياه · ويكفي أن نخرج كل عام بكتاب أدبي واحد يستحق ان نقول عنه انه كتاب ، وان نضعه في مصاف الكتب الاجنبية التي تزخر بها المكتبة الأوربية أو الأمريكية · واذا كنا الى الآن لم نظفر بأديب عربي حظى بجائزة نوبل فانه لن يغيب عنا الظروف السياسية التي تحيط بمنح هذه الجائزة · وقد يكون لاشتقاق اللغة العربية من لغة سامية غير

آرية أثر في حرمان الانتاج فيها بالتقدير العالمي ، ومع الترجمة الى اللغات الأجنبية سيزيد التقدير لفكرنا وأدبنا المعاصر .

ان (الأصالة) هي العنصر الذي يفتقده أدبنا المعاصر فأغلب كتابنا المعاصرين يقرءون كتبا غير عربية ، ويتأثرون بها ، ويحاكونها ، ويقتدونها .. تمشياً مع نظرية ابن خلدون القائلة باقتفاء المغلوب أثر الغالب وقد ظللنا مغلوبين — سياسيا — زمانا طويلا ، فلا بد من وقت مناسب لكي يظهر استقلالنا الفكري ، ويضيع منا أثر (المغلوبية) . ولن يكون هذا اليوم بعيدا وعلى الرغم مما تقوم به بعض مجلاتنا الأدبية في هذا السبيل . فان اثرها لايزال محتاجاً الى بروز . ثم ماهي هذه المجلات التي اخذت تتضاءل وتنكمش وتنحرف عن رسالتها الى اغراض اخرى ؟ أتظن معي ان (الهلال) اليوم هي الهلال منذ اربعين أو ثلاثين عاما ؟ واين كتابها من طراز محمد حسين هيكل ، ومحمد مصطفى المراغي ، وأحمد زكي باشا ، وطه حسين ومحمد فريد وجدي ، ومحمد كردعلي ، وأنيس المقدسي والعقاد ، وسلامة موسى ، وحسن الشريف ، وعبد الرحمن شكري ، والجريديني وجرجي زيدان وغيرهم ؟ .

وهل (الثقافة) الحديثة ، و (الرسالة) الجديدة هما ثقافة احمد أمين ورسالة أحمد الزيات ؟

وهل عندنا بمصر غير (الهلال) و (الثقافة) التي يرأس تحريرها اخونا الدكتور عبد العزيز الدسوقي . أما مجلة (الوعي العربي) التي تخرج من مدينة القاهرة فهي تمثل اتحاد الجمهوريات العربية ، ولكنها لاتتسع الى مايمثل آفاق هذا الاتحاد . ولقد ظهرت في بلاد النفط العربي مجلات رائعة الاخراج كمجلة « العربي » و « الدوحة » و « المجلة العربية » . ولكن لاتزال تدخل « المجاملات » واعتبارات اخرى غير ادبية في الكتابة فيهــا ! !

لقد كان الدكتور يعقوب صروف يؤرقه السهر على تحرير « المقتطف » حتى تخرج كل شهر لائقة بالقارىء العربي والمثقف العربي وقد كان الشيخ ابراهيم اليازجي كثير الأرق والسهر على تحرير مجلاته ومنها « الضياء » وكان انطون الجميل ساهراً على تحرير مجلة « الزهور » حتى صارت تحفة في عالم الأدب والصحافة الأدبية ، وكذلك كان محمد حسين نائل المرصفي مع مجلة « الجديد » ، ولم يقل عنه البرقوقي ارقاً وسهراً وجهدا لاخراج مجلة « البيان » .

وليفهم مصدروا مجلات (الثراء البترولي) ان المسألة ليست مسألة ورق صقيل ، وصور ملونة ، واخراج فاتن بما تتيحه امكانيات النفط .. ولكن المادة المنشورة هي ذات المحل الأول في الأعتبار . مع عدم اغفالنا لأثر الورق الجيد ، والحرف الجيد والاخراج الجيد .

■ هل ترون انه سينمو جيل من الأدباء في هذه الظروف : غلاء الورق ، وتعذر الطباعة ، وعدم اتاحة الفرص أمامهم ؟

— ومتى كانت الظروف ياأخي حائلا بين الأدباء الموهوبين والانتاج الأدبي الجيد ؟ ان الأديب الحق يحتال على كل الظروف ليقوى أمامها . ويتغلب عليها ولن تقف أمام موهبة عقبة مهما كانت ولعلك تود ان تعرف ان الامام ابن سهل السرخسي القاضي ومن كبار رجال الأحناف أملى كتابه (المبسوط) في الفقه الحنفي وهو سجين بالجب في (أوزجند) بولاية (فرغانة) . ولم تمنعه قيود الحديد في السجن ان يؤلف كتاباً واسعاً يعد حجة في فقه الامام أبي حنيفة .

صحيح ان غلاء الورق ، وتعذر الطباعة قد تشكل « عائقاً » مؤقتاً أمام بعض اصحاب المواهب الأدبية النامية ، ولكنه عائق لايلبث ان يزول . واذا لم يزل فان الأديب الحق يحرص على ازالته بما أتاحت له الأقدار من موهبة أدبية . انالأدب ارادة للحياة ،وهل تقف عقبة أمام ارادة الحياة ؟

لقد أفاض الامام الجاحظ – على ما أذكر – في تلك النبتة التي تخرج من قلب الصخرة الصماء مخترقة سواء الصخر وصلابته لتتجه نحو الشمس مصدر الضوء والحياة . – لأنها تريد الحياة . فلماذا تخشى على الأديب الموهوب من ظروف طارئة مؤقتة ؟ ان « امام العبد » الشاعر البائس تغلب على ظروف فقره وبؤسه فصار شاعرا مرموقا وكذلك فعل « عبد الحميد الديب » ، وفعل « ابراهيم المدباغ » و « محمد حافظ ابراهيم» الذي سعى الى ان كاد ينتعل الدم كما قال في شعره وكاد يطفىء سراج حياته بيديه انتحارا ويأساً من الحياة ، ولكنه عاش بعد ذلك أكثر من ثلاثين عاما ، وظفر بوظيفة طيبة في دارالكتب وخالط العظماء واحرار الفكر من امثال الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، واحتل في الشعر العربي المعاصر المكان الثاني بعد احمد شوقي ، وقبل خليل مطران .

وليس هذا هو الشأن في الأدب وحده ، ولكنهالشأن ففي العلوم والفنون . فالسرخسي العالم الفقيه لم يمنعه السجن ان يؤلف كتابا ضخما يعد قمةشامخة في كتب الفقه الاسلامي . ولم تمنع العقبات « سيد درويش »ان يكون ملحناً رائداً مجددا في الموسيقى والغناء العربي . وهو اذا لم يأخذ حقه كاملا في حياته فقد أنصفه الزمان العادل بعد مماته .

لاتخشى ياأخي شيئا على الموهبة الأدبية ، والأديب الموهوب : فان الطريق أمامهما مهما طال وظن انه طريق شائك مسدود ، فهو طريق موصل الى الحق ، والى الانصاف الذي لايبخل بهالزمان علىمنيستحقه.

حسين علي محمد – ديرب نجم – الشرقية – مصر

الحروب الصليبية

تنقل الحضارة العربية الى الغرب

الدكتور طه اسحق الكيالي

لقد أصبح من الأمور المسلم بها اليوم ان الحروب الصليبية كانت من أهم العوامل في نقل الحضارة والثقافة من الشرق الى الغرب ٠

ويعرف لاروس الصغير والموسوعة الحروب الصليبية بأنها حملات أو حروب ثمانية قام بها مسيحيو القرون الوسطى (من القرن الحادي عشر ١٠٩٦ الى الثالث عشر الميلادي (١٢٩١) الى الأرض المقدسة لطرد المسلمين منها ٠

بينما تعرفها الموسوعة العالية بأنها حملات عسكرية نظمتها الكنيسة لانقاذ الأرض المقدسة ٠

والحرب الأولى كانت حجاً أكثر منها حرباً ٠ فقد أراد البابا أوربان الثاني وقبله فكر البابا غراغور السابع ان يرسل محاربين غربيين لنجدة الامبراطورية البيزنطية المهددة من قبل الاتراك السلجوقيين ٠

وهكذا كانت الحرب الأولى مزيجا من جيوش نظامية بقيادة عدد من الأمراء كجوفروادو بيون دوق اللورين، وأخوه بودوان ، وكونت فرمندا ، وكونت بلوا، ودوق نوماندیا ، وريمون دو سان جيل ، كونت طولوزة ، وبوهيمون دو فارانت على رأس نورمان صقلية أما المجموعات الشعبية فكانت برئاسة بطرس الراهب وغوتيه صان زفوار (غوتيه الفقير) بارون الراين ٠

وقد انتهجوا طرقا أربعة مختلفة على أن يتم التلاقي في القسطنطينية ٠ ولكن اعداداً كبيرة منهم هلكت في الطريق البري ٠ كما واباد الأتراك أعداداً أخرى أثناء مرورهم في آسيا الصغرى ٠

وتوفقت هذه الحرب الأولى في ايجاد مستعمرة غربية بالقدس كما وشجعت على القيام بحملات جديدة لدعم الأولى ولكنها أبيدت أثناء الطريق ٠

والحرب الثانية (١١٤٧ - ١١٤٩) باءت بالفشل ٠ وفي الفترة ١١٨٩ - ١١٩٢ قامت حرب ثالثة أثر تغلب صلاح الدين الأيوبي على جيوش ملك القدس غي دولوزينيان في حطين واستعادته القدس ٠

مما دفع الغربيين لارسال حملة ثالثة سار فيها ملك فرنسا فيليب أوغرست وملك انكلترا ريتشارد قلب الأسد اللذان سلكا طريق البحر بينما سلك الأمبراطور

فريدريك باربروس طريق البر ٠ ولكنه لم يلبث ان مات غرقاً وانهارت حملته أمـا الحملة البحرية فقد انتهت بالاستيلاء على قبرص وتأسيس مملكة غربيـة فيهـا وبمعاهدة مع صلاح الدين الأيوبي (١١٩٢) ٠

أما الحرب الباقية فقـد باءت جميعها بالفشل واهم مايستحق الذكر هو ان السابعة والثامنة كانتا بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع أو القديس لويس ٠ فانتهت السابعة بأسره (١٢٥٠) والثامنة بموته أمام تونس٠

وقد قامت حملات أخرى أشهرها حملة الأطفال والتي انتهت ببيع القسم الأكبر منهم كعبيد وارقاء فـي مصر (١٢١٢) وحملة الرعيـان التي قامت لانقـاذ آلقديس لويس من الأسر وباءت بالفشل ٠

وقد استمرت الحروب الصليبية بشكل منظمات دينية حربية لحماية الديار المقدسة كالتامبليه والهوستباليه (في رودس ومالطة) واللذين بقيا حتى نهاية القـرن الثامن عشر في حرب دائمة مع الأتراك وعرب افريقيا ٠

وينتهي لاروس الصغير الـى القول بأنـه اذا كانت الحروب الصليبية قد فشلت من الوجهة العسكرية فانه على العكس كان لها نتائـج هامة ومتعددة فقد كانـت السبب الرئيسي في رقـي الملاحـة وتبـدل الأوضاع الاقتصادية في العالم الغربي ، وسيما في نقل الحضارة العربية اليونانية الى الغرب ٠

وقد حدثت خلال الحملات الأولى فواجع بحريـة بسبب جهل البحارة وعدم معرفتهم بقوانين الفلك والملاحة ولكنهم لم يلبثوا ان اخذوا عن العرب البوصلة والاسطرلاب فأصبحت الملاحة أكثر أماناً واقل خطراً كما وان صناعة السفن تقدمت تقدما كبيرا بسبب الحاجة الملحة الـى سفن كبيرة فزيد في عدد الصواري والقلاع بغية الضخامة والسرعة والأمان ٠ وقد كان تقدم الملاحة هـذا السبب المباشر في تجرؤ البحارة على المضي في البحار الكبيرة واكتشاف امريكا وغيرها من العوالم الجديدة ٠ ومـن آثارها أيضا تقدم التجـارة البحرية فوجدت موانـيء ومرافيء جديدة وكثيرة كمرسيليا والبندقية وغيرهـا ٠

ومن الآثار الهامة التي تركتها الحروب الصليبيـة في التاريخ والأدب هو ان اول كتب الغرب في التاريخ وضعت خلالها ٠ فكتب جوفروا دو فيلهار دوان تاريخا عن الحروب الصليبية الرابعة وجان دو جوانفيل مستشار القديس لويس مذكرات عن الحروب الصليبية التـي اشترك فيهـا ٠

وتقول الموسوعة العالمية حين الكلام عن نتائج هـذه الحروب بأن التماس الذي هيأت له كان له أعمق الأثر في نقل الحضارة والثقافة العربية واليونانية الى الغرب بالاضافة الى الطريق الآخر والأهم وهو اسبانيا ٠

لم تكن الحملات عسكرية فقط فقد كان يرافقها كثير من الحجاج والتجار أو الاستفادة من الصنائع والأعمال التي سيجدونها في الشرق ٠

ويقول ميشو : ان الأفضلية في مجندي الحمـلات الصليبية كانت لأصحاب المهن والصنائع ٠

يقول رسلر : بأن الصليبيين تعلموا في الشرق نقش الأقمشة بألواح من الخشب ٠ وقد كان لهذه الطريقـة اثرها العام في نشر الطباعة وتطويرها ٠ كمـا وتعلموا الكثير في صناعة الأقمشة والنسج التي كـان الشرق يزخر بهـا ٠

ومن الصناعات الكثيرة الانتشار في الشرق صناعـة الخشب والحفر والنقش والمعادن والأسلحة ٠ وقد ورد في كتب التاريخ القديمة ان مسيحيي القـدس كانـوا يذهبون الى دمشق لشراء الأسلحة من معاملها ٠

ويروي جوانفيل انه اشترى من طرابلس اثناء حجته قماشا يدعى « الشمال » قدمه هدية للملكة مرغريت فظننته في بادىء الأمر اثراً مقدساً فركعت لأخذه ٠وقد كلفه لويس التاسع بشراء كمية من هذا القماش ٠

كما وان صناعـة الحرير التي كانت نامية بشكـل كبير جلب أنظار الصليبيين فأمر ملك صقلية روجيـه الثاني في حوالي منتصف القـرن الثاني عشر بنقـل بعض أنوال « النسيج » الى بالرمو ٠

ويقول رسلر ثان من اهم ماأعطى العرب الى الغرب بلا خلاف هو الورق ٠

وأقدم وثيقة أوروبية مكتوبة على الورق الحقيقـي هو أمر كتب باليونانية والعربية من قبل زوجة روجيه الصقلي سنة ١١٠٩ ٠

وحتى القرن الثاني عشر كانت معامل الورق الاسبانية هي التي تؤمن للأديرة الغربية الورق اللازم لها بينما كانت أوروبا الشرقية تحصل على مايلزمها من الشرق العربي مباشرة ٠

وهكذا انتقلت صناعة الورق تدريجيا من اسبانيا الى فرنسا ومن صقلية الى ايطاليا ٠

ومن الصناعات الهامة في الشرق ، صناعة الزجاج الذي كان مجهولا آنذاك في الغرب فنقله البنادقة ٠

ومما أثار الدهشة عند الصليبيين البارود والنار الأغريقيـة فتعلموا كيفية صنعها ٠ وكذلك صناعة الساعات اذ بهرتهم الساعة التي أهديت الى شارلمان في القرن التاسع الميلادي في الوقت الذي لم يكونوا يعرفون الوقت ألا بواسطة ساعات الماء والشمس أو ظل الانسان ٠

وكان للزراعة أيضا نصيب كبير في الانتقال الى الغرب ٠ فقد نقلوا زراعة قصب السكر من طرابلس الى صقلية في منتصف القرن الثاني عشر ومن الشام الدراق ونوعاً من فصيلة البصل والثوم ويستعمل كمقبل ومشه ٠

ومنها أيضا الهدايا التي كان يرسلها ملوك وسلاطين الشرق الى الغرب كالحيوانات التي لم يكونوا يعرفون عنها شيئاً أو شاهدوها كالفيلة والزرافة والأحصنـة التتارية ، فقد أهدى المماليك الى لويس التاسع فيلا والظاهر بيبرس أحصنة تتارية مع عدة سجناء مغول للعناية بها الى ابن فريدريك الثاني ٠ وزرافة من مصر الى ملك صقلية ٠

ويذكر ميشو ان اغرب شيء تلقاه الغرب هو وقوع لويس التاسع في الأسر وهو الذي كان يعد قديسا بالنسبة للصليبيين لذا كانت الصدمة كبيرة لدرجة ان كثيرا منهم اعتنق الاسلام أثر ذلك ٠ كما وان من يتحدث منهم عن اسر القديس لويس كان عقابه الاعدام ٠

ويذكر ميشو أيضا ان اتصال جنود الصليبيين بالمسلمين نقل الكثير من العادات والطبائع والكلمات والاصطلاحات والأمثال اليهم ٠ كما وكثر التزاوج بين الفرنج والمسلمات وبالعكس ٠

وأخيراً كان الطب بدائياً وكثيرا ماكلف اطباء مسلمون بمعالجة جرحى الفرنج ٠ فقد ارسل صلاح الدين طبيبه ابن البطراق لمعالجة ريتشارد قلب الأسد ٠ ويذكر ابن منقذ : الذي كان فارسا وطبيبا كيف دعي الى القدس لمعالجة بعض الجرحى ٠ وقد روى في مذكراته كثيرا مما لاحظه خلال زيارته هذه عن جهل وعناد مطبب الفرنج ٠

المراجع والمصادر

١ ـ لاروس الصغير باريس ١٩٦٧

٢ ـ لاروس الموسوعة باريس ١٩٦٧

٣ ـ الموسوعة العالمية باريس ١٩٦٧

٤ ـ رسلر تاريخ العرب باريس ١٩٦٧

٥ ـ ميشو جوزيف فرنسوا تاريخ الحروب الصليبية

٦ ـ ابن منقذ مذكرات باللغة الانكليزية نشر فيليب حتى

رزء .... مصياف

بوفاة الدكتور يوسف ابو عبد الله

نجم الدين الصالح

مصياف .. مالنداء الحب لايصل
وما لجرح الحزانى ليس يندمل...

الآس فوقك مضفور ومرتقب
كأنه خائف من أمره وجل ...

وسورك الواله الحاني يؤلقه
جرح على كل جفن منك ينتقل

علمت أنك ثكلى غير أن يدي
لم تدر اين توخى حده الثكل

وصنت ندبهم لكن قاضيتي
تضيق عن رصد ماقالوا وما فعلوا

فهل تشظت على مصياف وحدتها
وهل تموت المنى أو يواد الأمل

كأنما ذاك . . فلأفهم مسلمة
ان الخطوب على انواعها دول

وأن من تكلأ الأخلاق رايته
يظل خلف الردى كالشهب يشتعل

فقادة المثل العليا .. وأمتهم
روابط احكمتها الروح والمثل

ومن هنا كان للجمهور كارثة
عميقة ومصاب واحد جلل

وكان رزؤك يامصياف منفردا
تلف جمرته الأغوار والقلل

دروبها تحمل المرضى ويوجعها
أن الأحبة عن مصياف قد رحلوا

وان من كان يشفي كل معضلة
الوت بجانحه الأوجاع والعلل

كانما الطب لايعني بفارسه
أو لم يجب صيحة الفرسان منسئلوا

مشى يؤم رفاق الأمس مشيته
فما لهم عن ضماد الجرح قد غفلوا

اكلهم واجعون اليوم ؟ لا أمل
يرجى لديهم ولا طب ولا حيل

واين ماقيل عن علم نجوب به
غور الكواكب نستجلي ونكتحل

هل أوقف العلم شيء عن تقدمه
وهل تفانى غزاة العلم او افلوا

وما نقول لآلاف مؤلفة
تراقب الدرب تحنانا وتبتهل

وقلعة ترسل الصيحات سادرة
تمشي مقطعة حينا وتتصل

ويا أطباء .. . يابيروت ...معذرة
متى يعود الى اعماله الرجل

تغير الغاب فالأوراق مضربة
عن خضرة الأمل الريان والسبل

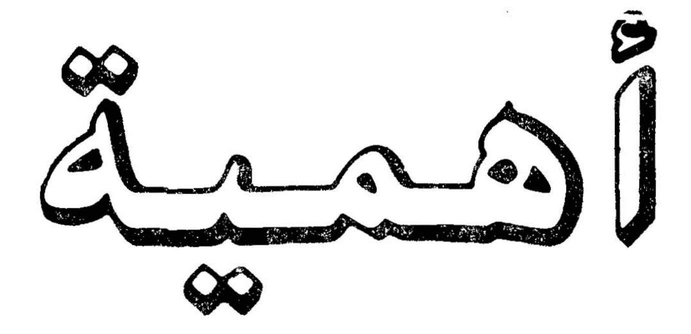
واقفرت غوطة الأحباب وارتسمت
علامة لم يحط عن سرها الأزل ...

الواهبون على الجلى حياتهم — يغادرون ويبقى الشوك والطفل
الصادقون الطليعيون تجربة — ومحتدا والكماة المرس الأول ...
الحاملون ضميرا لايساوره — الا العطاء والا الجد والعمل
الحادبون على الجرحى وجرحهم — يكاد من شدة الارهاق يشتعل
تبلو شبابهم الجلى وما فتئوا — يضمدون وماملوا وما غفلوا
ويح المنية كم غالت اظافرها — فجرا وكم أرهصت أنيابها العضل
تسلقت كل اعلامي وما علمت — ان المناقب بالأحداث تنصقل
ان قوضت يوسف الجثمانواختزلت — فيوسف المنهج الخلاق والمثل
كحبة القمح يفنى بعض أوجهها — ويفرع السنبل الريان والبلل
شمس المناقب والابداع باقية — ووحدها الأعين الرمداء ترتحل
ويوسف اليوم منهاج تتوجه — سماته ، ويموت العمر والأجل
ان ضاق عن جانحيه فجر أمته — فانه برم من جهلها خجل
وكم تطلع في حبوفي أمل — وخانه في مناه الحب والأمل
التضحيات دروب لايواكبها — الا الأولى روضوا التاريخ واختزلوا
والجود بالنفس فجر ليس يدركه — الا الأولى كفروا بالذات واعتزلوا
ابا العفاة ... ويافجرا يضفره — عطر الوفاء وظل وارف خضل
اقمت جيلا من الايثار وازدحمت — بك المناقب تستجلي وتكتمل
جيلا عكفت تنقيه وتصقله — كما تنقي المزايا السادة الرسل
ابكي مآثرك الجلى وقد عصفت — بها المنون وسدت دونها السبل
أبكي وهل لي عزاء كلما رحلت — مناى الا القوا في الرود والطلل
اني أرى المرء اخلاقا وليس لنا — وراء ذلك الا العقم والجدل
ماقيمة العلم والعرفان في رجل — ضاعت وراء أنانياته المثل
والمرء ان لم يكن برا بامته — فكل مايدعي من امره دجل
تفنى الحضارات مهما امتد تالدها — ويخلد الخلق البناء .. والعمل
ياامتي كيف ألقى شهب قافيتي — وكلها في غمار البؤس تعتمل
يا امتي اين ... اين أرفض لؤلؤنا — وأين غار المعين الدافق الجذل
اني لأبكي مزايا جاهليتنا — ولا أطيق بهذا العصر من جهلوا

نقول بالوحدة الكبرى وليس بنا ... الا الذي يئد القربى ويأتكل
نقول بالوحدة الكبرى وامتنا ... دويلة في رقاع الشرق أو دول
لو يؤمنون بما قالوا لما بقيت ... شراذم في دروب القدس تقتتل
لو يؤمنون لما أخنى على وطني ... لون من الذل لايرضى به رجل
لعاد قحطان من أغوار غربته ... يحرك المسجد الأقصى ويحتفل
وراحت الشهب السمراء ثانية ... ترمي المحيطين والرايات والقلل
لامتد في كل أفق زاخر لجب ... وند من كل شبر سيد بطل
أفديك يالهب الجولان من لهب ... تمور من خلفه الدنيا وتشتعل
لولاك ما ائتلفت عين ولا ومضت ... وازينت في أقاصي ليلنا الشعل
لولا الشهيد ولولا الجرح مستعرا ... خلف الشرايين يستهدي ويعتمل
لما تحسست ذاتي أو لمست ·· بها ... نبضا بكل العروق السمر يتصل
فليكلأ الله شعبة ضم سارية ... تلتف بالقدر الرامي وتكتحل
وليرقب الفجر زحفا ثانيا ولظى ... يفور في جانحيه الثأر والأزل
عفوا أخي وليؤم الدهر ملحمة ... حنت على روضك الفواح تمتثل
نم هانئا واحتسب كل العلا فلقد ... أديت أروع مايصبو له رجل
كل البنفسج في تشرين موعده ... أكان بالسيف أم بالعلم يختزل
عليك رضوان ربي كلما اتكأت ... لديك زنبقة أو رنقت مقل
ولتبق مصياف جفنا حانيا وندى ... فكل ماشاءه الأحباب محتمل
وأنت يازوجة الآسي وياشهبا ... زغبا تدب على النجوى وتنتقل
ماذا أقول لأفراخ يروح بها ... دمع ويغدو نحيب صاخب عجل
ماذا أقول لأطفال بوالدهم ... وهم على تربه يارب قد ذبلوا
هل كان لابد ان ينهد كاسبهم ... وهم على جفنة الأحلام والأمل
يارب عفوك لا نقد لما صنعت ... مشيئتاك ولا كفر ولا ملل
وانما لست أدري كيف يؤنسنا ... يتم الوليد ويرضي حلمنا الطلل
آمنت بالله ولتنفذ مشيئته ... فانها فوق ما نقوى ونحتمل
وان كل ربيع مقفر خرب ... ان ند عن دربنا الأحباب أو رحلوا

■ نجم الدين صالح ■

أهمية المكتبات



تزداد أهمية المكتبة في مجتمعنا الحاضر ٠ احصاء عدد المكتبات فيه ، وكلما ارتفع مستوى الثقافة واصبح بامكاننا الحكم على مستوى تقدم المجتمع بعد كلما شعرنا بالحاجة الى المكتبات ٠ ان المكتبة هي العنصر الأساسي لنشر الثقافة وتنوير العقول ٠ وهي تشغل الاشخاص بأشياء مفيدة ٠ لذلك نرى حكومات البلاد المتقدمة تعني بانشاء المكتبات وتطويرها ، وتخصص ميزانية خاصة لانشاء مكتبة عامة في كل حي من الأحياء ، يؤمها الناشئون في أوقات فراغهم ٠ فيصبح الذهاب الى المكتبة جزأ من حياتهم اليومية ٠ وتقع المسؤوليةعلى المسؤولينعن المكتبات لمعرفةاختبار الكتب لترغيب القراء ٠ وليست المكتبة الكتب لوحدها بل الكتب والجو الذييسود المكتبة ٠ ويتأثر الجو بالاثاث والكماليات التي تتألف منها المكتبة ٠ ولذلك عني المسؤولون عن المكتباتعناية خاصةبالاثاث ووسائل التنوير لكي تضفي على المكتبة جوا ترتاح اليه النفوس ويرتاح اليه النظر٠ وللالوان تأثير مهم علىجو المكتبات، ولاختيار المفروشاتوتناسقهاأهمية كبرى ٠والمفروشات التي توفر الراحة هي التي تكون الانسب والاحسن ٠

بقلم : نعمت غندورصعب

ودخلت مؤخرا التكنولوجيا لخدمة المكتبات ، وكثرت الوسائل التي يسهل باستعمالها عمل المسؤولين٠ ان العمل بالمكتبات يتطلب كثيرا من طول البال والمثابرة والدقة ٠ فان ساعات طويلة من العمل تعطي نتيجة بسيطة ٠

وبدأت التكنولوجيا تقدم خدماتها الآلية لانجاز الاعمال المطلوبة ٠ واصبحت الاعمال التي تتطلب الساعات تأخذ الدقائق بفضل الاجهزة الالكترونية ٠ وها هو بناء المكتبة في جامعة أوهايو في الولايات الاميركية المتحدة المؤلف من ستة طوابق مجهز بجهاز الكتروني خاصفي الغرف التيتحفظبها الكتبيستعمل لاقتناء الكتب وسحبها وايصالها لطالبيها بعد اختيارها بواسطة جهاز تصوير خاص ٠ كل ذلك يأخذ دقائق معدودة يحصل خلالها القارىء على الكتاب الذييطلب٠ ويستعمل ايضا هذا الجهاز لارجاع الكتب الىاماكنها في غرف الحفظ ٠

وما يزال هذا الجهاز محـــدود الاستعمال • ولم ينتشر بعد • ويستعمل الآن في أربع جامعات ونأمل عندما تقل تكاليفه أن يكثر استعماله •

وبانتظار تعميم ذلك الجهاز زادت الحاجة مؤخرا الى أشخاص يلمون بادارة المكتبات وخاصة في المدارس الثانوية حيث يكثر الطلاب الذين يترددون على المكتبات للحصول على بعض الكتب الضـــرورية لدروسهـم • وتشجيعا لتدريب الاشخاص الذين يرغبون العمل في المكتبات عملت سيدة اميركية اختصاصيةفي علم المكتبات وفي ادارتها سنين عديدة لوضع اسطوانات بمثـــابة دروس في علم المكتبات • قسمت التدريب لاثني عشر درسا • فكل من يرغب الحصول على بعض المعلومات عن سير العمل في المكتبات فما عليه الا الحصول على هذه الاسطوانات واتقانهـا • فيتقن بذلك الطـــالب المعلومات اللازمة عن كيفية سير العمـــل في المكتبـــات قبل ان يبدأ التدريب التطبيقي •

ولكن لهذا النظام متطلبات استثنائية منها :

أولا : ان دوام المكتبات يجب ان يتوسع ليشمل كل النهار وجزءا متقدما من الليل للساعة الثانية عشرة ليلا •

ثانيا : ان على رواد المكتبات ان لا يتنـــاولوا كتبهم ويغادروا المكان بل أن يبقوا داخل المكتبة وهذه الترتيبات تتطلب أمكنة واسعة ، ومريحـة للقـــراءة والمطالعة وتتطلب أيضا عددا اكبر من الموظفين ليشرفوا على مساعدة رواد المكتبة لايجاد كتبهم المطلوبة ولهذا سميت هذه المكتبات مكتبات البحث والتنقيب لانهـا تفتح أبوابها للباحثين والاساتذة وتلامذة الدراســـات العليا • وبانتشار هذه المكتبات في الاوساط الجامعية أصبحت الحاجة الى المتدربين على العمل في المكتبات اكثر الحاحا • وتشجيعا وترغيبا لهم وضعت السيدة الاميركية المذكورة اعلاه اسطوانات الدروس التـــي ورد ذكرها •

وتشجيعا للتعاون بين المكتبات ولتبادل المراجع استنبطت جامعة فلوريدا صفائح ميكروفيش ٤ انش عرض و ٦ انش طـول ، لتكون صورا طبـق الأصـل لمحتويات البطاقات ولتعمل هذه بواسطة جهـاز آلـي او الكمبيوتر • مثلا يوجد ما يقارب ١٢٠ر٠٠٠ مئـة وعشرون الف بطاقة مراجع جميعها مرتبة وموظبـــة حسب الموضوع وبدل البطاقات سجلت المراجع علـى لوائح ميكروفيلش وبواسطة الكمبيوتر بامكانك بلمـح البصر الحصول على صور بطاقات لمجموعـــة الكتب المتوفرة في البطاقات لاي موضوع تعينه • وبامكانك دفع ما يقارب الدولار واخذ الصورة ومقارنتها مـــع ما هو من مراجع في مكتبات أخرى • وتشيع هـــذه الطريقة لمقابلة المراجع بين الجامعات المتخصصة فـي موضوع من الموضوعات ، وهي تـــوفر على الباحث الكثير من الساعات التي يقضيها في البحث عنالمراجع والتأكد منها واستطلاع المزيد منها •

وتم اكتشاف « قارىء » جديد هـدفه تسـهيل القراءة للمكفوفين • وهذا القارىء المعروف باســم اوبـت كون يمكن المكفوفين مـن قراءة الكتب المطبوعة طباعة عادية بسرعة ٦٠ كلمة في الدقيقـــة • وعرض القارىء المذكور في المؤسسة الكندية لمساعدة المكفوفين في ثورونتو في كندا ووجد أنه مفيد جدا •

ان « القارىء » كناية عن جهاز لايزيد حجمه على حجم المسجل النقـال بوتابـل ووصفـه المهنـدس السيد جيمس بليس بانه الوسيلة التي تؤدي اكبـر خدمة للمكفوفين بعد اكتشاف نظام الحرف النـــافر برايل الذي اكتشف عام ١٨٢٤ •

ان هذا الجهاز يحتوي على بوصلة صغيرة لهـــا تركيب الكتروني تمر فـــوق الاحرف الموجـــودة في

الصفحات العادية وتنقل تموجاتها الىجهاز آخر متصل باصبع الشخص المكفوفوهكذا وبمجرد انتقال تموجات الاحرف الى الشخص المعني يستطيع استيعاب محتويات الصفحة • وهذه البوصلة مركبة بشكل تضبط سرعة مرورها فوق الاحرفوتعطي اشارةخاصة عند انتهاء مرورها فوق كل صفحة من صفحاتالكتاب• ان استعمال هذا الجهاز يتطلب تمرينا خاصا لكي يعتاد المكفوف تموجات الاحرف المختلفة والمتنوعة •

وفي مجتمعنا الحاضر للمكفوفين حقوقهم ومسؤولياتهم ، ولا يعاملون مثلما كانوا يعاملون في السابق كأشخاص ليس لهم مؤهلات او كأفراد معوقين • والنظر أساسي بالنسبة لكل عمل يقوم به أي انسان ، ولكن علينا ان نعتبر أن المكفوفين يتفوقون في ميادين يصعب على الانسان العادي انيتفوق فيها• واستنادا لهذا الاحساس واحتراما لحقوق المكفوفين خصصت ادارة مكتبة الكونغرس الاميركية ميزانية خاصة لطبع ملخصات الكتب التي تصدر شهريا بالطريقة النافرة • فمنذ كانون الثاني سنة ١٩٧٤ أصدرت المطبوعات الشهرية لملخصات الكتب بالطباعة العادية واصدرت نسخة أخرى بالطباعة النافرة • وسألت كل من يهمه الامر أن يختار الطبعة التي يرغب في استلامها • وتوصل السيد جون مرشنت المهندس في مركز الأشعة في ماساتشوستس الى تركيب جهاز خاص سماه « اوكلومتر » • ووظيفة هذا الجهاز الاساسية هي اكتشاف الأسباب البصرية التي تسبب بطء القراءة عندما يرسل هذا الجهاز نورا خفيفا عن العين المجردة حتى علىبعد خمسة أقدام منالشخص المعني ، يكتشف المشاكل البصرية التي تعترض القارىءوكثيرا ماتسبب له بطء في القراءة أو بطء الاستيعاب •ان عمليةسرعة استيعاب ما يقرأ تتطلب في الاساس بصرا سليما ، ولهذا السبب كثيرا ماتجهل العامة ان سبب بطء الاستيعاب لايعود دائما الى مستوى الذكاء ، ولكن يعود في كثير من الأحيان الى مشاكل بصرية تعترض القارىء •

وفضلا عن ذلك أجرى العالم النفساني والخبير في مشاكل الأشعة البصرية السيد مرجوري كرليس عدة تجارب اختبارية على هذا الجهاز ،وتبين له ان لهذا الجهاز فوائد ومنافع اخرى ومنها استعماله لتسهيل عملية تعلم اللغات الأجنبية• وفي عالم الاكتشافات التي تسهل المعرفة وتسهل الحصول عليها لجعلها في متناول كل من ينشدها •

أدت ادارة المكتبة العامة في جامعة لوس انجلوس خدمة مفيدة • وتوصلت لتركيب عداد آلي كمبيوتر بامكان الكبار والصغار استعماله لاهداف ثقافية بحتة وهذا الجهاز له تركيب خاص يمكنه من تلقي أسئلة توجه اليه في قاعة المكتبة العامة • وهذا الجهاز له اتصال الكتروني بجهاز آليآخرفي الجامعة الذييتصل بدوره ببنك معلومات داتا ـ بنك كجامعة جنوبي كليفورنيا • ففي الوقت الذي يتلقى الجهاز الآليالقائم في المكتبة الأسئلة بواسطة جهاز الكتروني الى بنك المعلومات وفيبنك المعلوماتجهاز آلي يعمل اتوماتيكيا ويسحب الأجوبة المناسبة لكل سؤال ويرددها بنفس الطريقة والوسيلة التي وصلت اليه أي يرددها الى الجهاز الالكتروني الموجود في المكتبة • وهناك يتلقاها الشخص الذي وجه السؤال المعين • ولهذا الجهاز عدة فوائد منها للتعلم الذاتي في مواضيع مختلفة وخاصة في المواضيع الحسابية •

ان ادارة مكتبة لوس انجلوس العامة بحاجة ماسة الى اختصاصيين فنيينفي استعمال الأجهزة الآليةوهي بحاجة الى اختصاصيين بميادين مختلفة ليعملوا في بنك المعلومات • فبالرغم من ان العلم والمعرفةيصبحان بهذه الوسيلةبمتناول الجميع ،الاان التقدمالتكنولوجي لايستغني عن العقل الانساني الذي يحركه ويحرك الآلات التكنولوجية لخدمة الانسانية •

ان الخدمات المكتبية التكنولوجية تتحسن وتتقدم تقدما سريعا ومطردا •ولكن دور الانسان المخترع لهذه الخدمات والمنظم لها مايزال هو الدور الأهم •



المتنبي ؟

بقلم :

الدكتور محيي الدين رمضان

المتنبي موضوع لاينتهي :

هو من المعاني الخوالد ، مازال الدارسون يتعاقبون عليه مابين دارس ناقد ، ومعجب بشعره مادح ،ومابين متسقط للهفوات مترصد للسقطات ومقيل للعثرات متدبر للمآخذ منافح ٠

ولست انا بكلمتي هذه من أولاء ولا هؤلاء ، غير ان اسباب كلامي منعقدة بأسبابهم ٠ ولابد من ان اقترب من فريق من بين هؤلاء الفرقاء ٠ وان كنت عزمت على أن أخلي بيني وبين المنازع التي عنها صدر كل من تقدمني ، سوى مواقف لبعض من هؤلاء وهؤلاء ، كانوا حاولوها ، اخص منهم صاحب الوساطة ، فسددوا حينا وجنحوا آخر ٠

نتائـج الأدب وأحكامـه :

ولكن أقول : هل يمكـن أن ينتهي الدارسون سواء المناصرون لموضوع من الموضوعات أو المعارضون الـى نتيجة ؟ والى أين يمكن أن ينتهي هـؤلاء وهؤلاء ؟وما قيمة كل نتيجة يحققونها ، الى آخر مايخطر بالبال من أسئلة أو مايحتمله موضوع من تلك الموضوعات المثارة؟

فان القطع بحكم على موضوع من ذلك أو على جانب أو جوانب منه لشيء يتنافى وحقائق الأدب التي استنتجت من وقائعه المختلفة طوال أزمنة مديدة • فكم من دارس وناقد رجع في قابل حياتـه عـن حكم قطعه في دابرهـا لما تبين له بعد ان الحق الذي ناصره ، أو النتيجة التي حققها لم تكن فـي جانبه • وفي كـل حال فان أحكام الأدب لابد من ان يداخلها مثل تلك الأحوال غير الثابتة، كي تتناسب ومنشأ الأدب وأحواله الأولى التي عنهـا صدر ومنها تولـد ، ذلك لأن الأمر لحله منعقـد علـى الانسان في اطواره المتباينة ، وعلى ماورثه عن اجيال عديدة كمن في ذاتـه واستقر فـي نفسه ، يتردد مـع مايطرأ عليه هو من احوال بيئته المختلفة •

سبب الحاح البحث في المتنبي :

واذا سألنا عن سبب هذا الالحاح الملح الذي استقطب ذلك الحشد من الباحثين والنقاد والدارسين فتناولوا المتنبي في أكثر من جانب فيه ، اجتذبتنا تلك الجوانب وألهتنا بمضمونها لما توافر فيه من خصائص تأخـذ الدارس ، فمعانيه اذا سمعتها فكأنك تسمعها لأول مرة حتى الشعر الجاهلي تخاله لم يتضمنها أو فاته كثير منها•

معانيــه :

وكان هو يعرف ذلك ويدل به ، يقول :

مـانـال أهـل الجاهليــة لحلهـم
شعـري ولا سمعـت بسحري بابل(١)

وان هو عرض لمعنى من تلك المعاني رأيت فـي معناه مالا تراه فيه عندمن تقدمه، ترى فيه تراكبا لايلفتك لأنه استلبك كل قدرة في محاولة البحث والكشف ، فكأن معناه لص اجتمعت له كل قدرة اللصوص التي تهيأت لشيطان اللصوص •

فهو يبهتك فلاتحير شيئاً على نحو ما مدح به الخصيبي:

قـاض اذا التبس الأمـــران عـن لـه
رأي يخلـص بـين المـاء واللبـن (٢)

تراكيبـــه :

وكذا نسج شعره فانك واجد فيه مواءمة مابعدهـا مواءمة بين المعاني واثوابها ، ولا مرية في أنه تهيأ لمثل هذا النسج بفطرة قويمة ، لاتدانيها الا فطرة الأولين ، ولكن يزيدها عند المتنبي ماقد أصابه من قدرة مركبة، هكـذا أصفها منهـا ما يرجع الى ارث مكـين ، ومنهـا مايرجع الى مكتب استقطبته نحيزة أصيلة • فهو فـي نسيج شعره كما مدح به القاضي أبا الفضل الأنطاكي:

كلماتــــه قضـــب وهـــن فواضـــل
كـل الضرائـب تحتهـن مفاصـل (٣)

صنعتـــه :

ويعضد ذلك صنعته اجتمعت له وسائلها مثلما تهيأت له خصائص تلك العظمة في قول الشعر • فأنت تذوق شعره فلا تحس منه هذا الذي تحسه في شعر أغلـب طبقته من تعمل الصنعة والتصنع فيه وظهوره • ولطالما ذكر المتنبي نفسه هذا الذي أشير اليه ، فقال :

أنـا الذي نظـر الأعمـى الـى أدبـي
وأسمعـــت كلماتـــي من بـــه صمـم
أنـام مـلء جفونـــي عـن شواردهـا
ويسهــر الخلـق جراهـــا ويختصم

---

(١) ديوانه ـ ١٦٦ ـ
(٢) ديوانـه ـ ١٥٥ ـ
(٣) ديوانـه ـ ١٦٣ ـ

فقد جعل الخلق جميعا نـدا له ، وانتهى الى انـه قارعهم وغلبهم وجعـلهم يسـهرون حـائرين في شعـره وأسباب ابداعه •

لغتـه وأسلوبـه :

ومثل هذا أيضا مايمكن ان يقال في لغته وأسلوبه وما الـى ذلـك من شأن شعره الذي ملأ الدنيا وشغل الناس • بيد ان هذا كله وغيره ، قد تناوله الدارسون وقلبوه وأتى عليه النقـاد ونخلوه • وان كان المتنبـي كسواه من هؤلاء الذين لاينفك أدبهـم مثار الـدرس والبحث ، لاينفذ معينه •

الاجابـة المزمعـة :

والاجابة المزمعة لسؤالي المذكور لم أبلغها بعد،ولكن كان علي ان أتلبث عند الذي مضى ، ذلك لأنه الجانب المهم الـذي شغل أغلب الدارسين ، واقتضاء لتمهيـد لازم •والاجابة التي أزمع سوقهاوالرد بها علىالسؤال المتقدم لهي التفسير الـذي اقتنعت به ، وملت اليـه ورجحته في سببية الحاح هـؤلاء الدارسين ، والعجاب المعجبين بالشاعر وشـعره ، وكذلك المنتقصين لـه والمتعقبين عليه ، المتسقطين لزلاته ، ولطالما جمعت الحب والكره أسباب مؤتلفة واعراض متداخلة •

الشـاعر الانسـان :

فمن ذلك أن المتنبي نفسه يمثل بنزعاته المختلفة التي ترجمها شعره أوضح ترجمة الانسان ذاتـه في أغلب أحواله ، سواء في قوته او ضعفه ، في غناه او فقـره ، في عزته أوذله ، فيثورته او هدوئه، في حبه اوكرهه، في صدقه أو كذبه ، والمتنبي اذا جـردناه في أغلب قصائده من اسمه ، وأخذناه أحوالا وموضوعات لا لامريء بعينه ، رأينا أنها توائم أغلب الناس في احوال معاشهم ، في كل الظروف التي اعددناها فهـم وان تفاوتت هممهم واختلفت أغراضهـم علوا ودنوا ، ممتازون بانسانية واحـدة تصبغ أفكـارهم وتسم سلوكهم • لهذا فالمتنبي قد مثلهم أوضح تمثيل وحقق أحوالهم أدق تحقيق •

اشادته بالقوة :

فما أكثر ما امتدح القوة ، وأشاد بالأقوياء ،واضفاها على نفسه ، وحسبنا قوله شاهداً :

ومرهف سـرت بين الموجتين بـه
حتى ضربت ومـوج المـوت يلتطم
فالخيـل والليل والبيـداء تعرفني
والحرب والضرب والقرطاس والقلم(١)

وكذا قولـه :

أعـددت للغـادرين أسـيافا
أجـدع منهـم بهـن آنافـا
لا يرحـم الله أرؤسـا لـهم
أطـرف عن هـامهن أقحافـا
ما ينقـم السيف غير قلتهـم
وأن تكـون المئون آلافـا(٢)

ولطالما أعجب الناس بالقوة ومجدوها وبالأقـويـاء فأعظموهم ، لايثنيهم عنها وعنهم أن تكون قوة غاشـمة باطنة آثمة أو أن يكون الأقوياء جبابرة طغاة سفاحين ، بل انهم لأعجب بمثل تلك القوة وبمثل هؤلاء الأقوياء وأشد اكباراً •

تعاليـه :

والمتنبي لم يدخر وسعاً في الفخر بنفسه والتعـالي حتى مديحه فما كان أكثر ما ارتفع على ممدوحه بـل طغى عليه وغيبه في ظله ، فمن ذلك قوله وهو فيمعرض عتاب لسيف الدولة :

كم تطلبـون لنا عيبـا فيعجـزكم
ويكـره الله ما تـأتـون والكـرم
ما أبعد العيب والنقصـان من شرخي
أنا الثـريا وذان الشيب والهـرم

---

(١) ديوانـه ـ ٣٢٤ ـ
(٢) ديوانـه ـ ٤٩٤ ـ

وختم قصيدته تلك بقوله :

هـذا عتـابك الا أنـه مقـه
تضمن الـدر الا انـه يحلـم (١)

وكان لتلك القصيدة قصة أوشكت نهاية المتنبي أن تكون خاتمة لها · ومثل ذلك قوله في معرض مديحه لسيف الدولة :

ان نيـوب الزمـان تعرفنـي
أنـا الـذي طال عجمها عمودي
وفي ما قارع الخطوب وما
آنسنـي بالمصائـب السـود (٢)

ويوشك المتنبي ألا يغيب في قصيدة من قصائده · وهذا جانب مهم في روعة شعره وأثر أسره الذي لايكاد يفلت منه كثير من متذوقيه ·

امتياز هجائه :

وقرين هذا اللون من الشعر مايمكن ان يندرج تحت فن الهجاء ، ولكنفي شعر المتنبي شيئا أكثر منالهجاء· فيه مزيج من الكبرياء ويرتدي منها ماراق له ، ومن الصغار يلبس منه مايشاء من يشاء ، فاذا أنت مشفق اشد الاشفاقعلى هذا من هؤلاء الذي تعرض الهمالشاعر بذلك ، واذا أنت خائف مرتاع من هذا السلطان الذي لايرد قضاؤه ، فمن ذلك ذمة الأعور بن كروس :

فيابـن كـروس ، يانصف أعمى
وان تفخر فيـا نصف البصيـر
تعادينـاالأنـا غـير لكـن
وتبغضنـا لأنـا غـير عـور
فلو كنت امرءاً يهجى هجونـا
ولكـن حنـاق فيترعـن مسير (٣)

ومن ذلك ذمه للسامري ، يقول :

اسامـري ضحكـة لحـل رائي
فطنـت وأنـت أغبـن الأغبيـاء
صغـرت عـن المديـح فقلت اهجى
كأنـك ماصغرت عـن الهجـاء
ومـا فكـرت قبلـك في محـال
ولا جربـت سيفـي فـي هبـاء (٤)

ويتجاوز ذلك الى الناسكافة ، وهو أول شاعريفعل ذلك ، يقول :

بكـل أرض وطئتهـا امـم
تـرعـى بعبـد كـأنهـا غنـم
يستخشـن الخـز حـين يلمسـه
وكـان يبـري بظفـره القلـم (٥)

ويقول في موضع اخر :

انـا فـي امـة تـداركهـا اللـه
غريـب كصالـح فـي ثمـود (٦)

فهذا أيضا ممالناس به معجبون وهم اليهمنجذبون تطمئن بـه انفسهم المكدودة بنقائص الانسان فيهم ، فيجدون في مثل هذا الشعر مرتعا خصبا يغتذون منه· وما اكثر ما سرى المصاب عـن نفسه بمصيبة غيره ، فتغزى بها ، فهو من هذا القبيل ·

موافقـة اسلوبـه لمعانيـه :

وزاد تعلق الناس بالمتنبي ان كثيرا من شعرهجاءت صياغته في قالب حكمي موائم ، سائـر على اللسان ، غير مباين للطبع او مجاف للذوق السليم متحرر مـن قيود الزمان واعراض الحياة ، وكأن هذا الشعر يخلق الزمان ولا يخلقه الزمان ·

---

(١) ديوانـه ـ ٣٢٥ ـ
(٢) ديوانـه ـ ٢٨٤ ـ
(٣) ديوانه ـ ١٥٥ ـ
(٤) ديوانـه ـ ٣٢٦ ـ
(٥) ديوانـه ـ ٨٥ ـ
(٦) ديوانـه ـ١٦ ـ

معانيــه الموافقـــة :

واضافة الى هذا اللون من الشعر ان معانيهمتناسبة مع الانسان في كثير من اطواره واحواله المترددة مع الأيام المتجددة على مر العصور ، فمن ذلك قوله :

ما كـل مــن طلـب المعالــي نافــذاً
فيهــا لا كــل الرجـــال فحــولا (١)

وقولــه :

كـم مخلـص وعـلا في خـوض مهلكـة
وقتلـة قرنـت بالـذم فـي الجبـن (٢)

وقولــه :

أنعــم ولــذ فللأمــور اواخــر
أبــداً اذا كانــت لهــن اوائــل
مــادمــت من أرب الحسان فانمـا
روق الشباب عليــك ظـل ذائـل
للهـــو آونـــه تمــــر كأنهـــا
قبــل يزودهـــا حبيـــب راحـــل
جمــع الزمــان فما لذيـد خالـص
ممـــا يشوب ولا سرور كامـــل (٣)

وقولــه :

اذا الفضـــل لـم يرفعـك عـن شكر ناقص
على هبـــة فالفضـل فيمـن لـه الشكـر
ومـن ينفـق الساعات فـــي جمـع مالـه
مخافـة فقـر فالـذي فعـل الفقـــر (٤)

صفـــة حكمتـــه :

ومثل هذا عنده كثير ، فهو ليس بحكمة خالصة ،ذلك ان الحكمة في كثير من شعر المتنبي تكاد تجف ، فلا نجد فيها هذا المزاج الحي الذي تختلط فيه التجربة القوية مع الكلمة الممتلئة بها ٠ وأما الحكمة عندالمتنبي فهي على ماوصفنا سخية التجربة قوية الحيوية في دقة اداء وتخير عبارة ، تقترب مـن النفس حتى تشملهـا وتخالط الفؤاد حتى كأنها عنه صدرت ، هذا سوىلون آخر من الحكمة جاءت المتنبي مما وافق طباعه ، وخالط مزاجه من الثقافة والفكـر الذي كـان يصبغ معرفـة الشعراء اذ ذاك ٠

أمثلـــة منهـــا :

ومنهـــا قولـــه :

اذا غامــرت فـــي شـــرف مـــروم
فـــلا تقنـــع بمـــا دون النجـــوم
فطعـــم المـــوت فـــي أمـــر حقـيـر
كطعـــم المـــوت فـي أمـــر عظيـــم

ومنها قوله من القصيدة ذاتها :

يـرى الجبنـــاء ان العجـــز عقـــل
وتلـــك خديعـــة الطبـــع اللئيـــم
وكـــل شجاعـــة فـــي المـرء تغني
ولا مثـــل الشجاعـــة فـــي الحكيـــم
وكـم مـــن عائـــب قـــولا صحيحـاً
وآفتـــه مـــن الفهـــم السقيـــم
ولكـــن تأخـــذ الآذان منـــه
علـى قـــدر القرائـــح للعلـــوم (٥)

ومنهـــا قولـــه :

لايسلـم الشـرف الرفيـــع مـــن الأذى
حتـــى يـراق علـــى جوانـــبه الـــدم (٦)

ومنهـــا قولـــه :

(١) ديوانه ـ ١٣٦ ـ
(٢) ديوانه ـ ١٥٦ ـ
(٣) ديوانه ـ ١٦٤ ـ
(٤) ديوانه ـ ١٧٥ ـ
(٥) ديوانه ـ ٢١٦ ـ
(٦) ديوانه ـ ٢١٨ ـ

والظلم في خلق النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم (١)

وقوله :

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام (٢)

وقوله :

أهل الحفيظة الا ان تجربهم
وفي التجارب بعد الغي مايزع
وما الحياة ونفسي بعد ما علمت
ان الحياة كما لاتشتهي طبع (٣)

وقوله :

ولذيذ الحياة أنفس في النفـ
ـس وأشهى من ان يمل وأحلى
واذا الشيخ قال أف فما مل
حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب
فاذا وليا عن المرء ولى
أبدا تسترد ما تهب الدنيا
فيا ليت جودها كان بخلا (٤)

وهذا اللون من الحكمة وان كان في جانب منه تحصيل الفكر والثقافة اذ ذاك غير انه من طبيعة الشاعر فكرا وروحا ، استثار فيه هذه الكوامن الفكرية، وبعث تلك المعاني الروحية ، فاذا حكمته في لبس جديد ، لاأثر لجمود الفكر اذا استعير ،ولا جفوة الثقافة المستفادة . وهي كذلك ابنة الحياة التي كتب لها السيرورة والبقاء مادامت الحياة .

وحق للمتنبي ان يقول :

وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا
وغنى به من لايغني مغردا (٥)

خلاصة :

وقد اصاب ابن رشيق اذ وصفه بقوله : « جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس » .

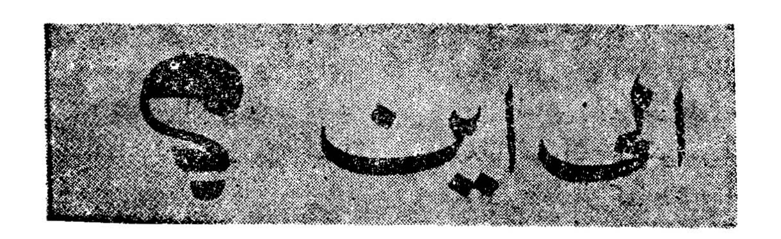
أما خلاصة كلمتنا فقد تضمنتها مقالة القاضي الفاضل التي ذكرها ابن الأثير في كتابه الوشي المرقوم ووافقه عليها ، وهي ماهي في الحكم على شعر ابي الطيب دقة تقويم وروعة شمول على تباين ذوق العصرين ومفارقة موازين الرجلين ، وهي : « ان أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس » .

■ ■ ■

جامعة تشرين ـ اللاذقية . محي الدين رمضان

(١) ديوانه ـ ٢١٩
(٢) ديوانه ـ ٢٤٩ ـ
(٣) ديوانه ٤٠٢ ـ
(٤) ديوانه ـ ٤٠٠ ـ
(٥) ديوانه ـ ٣٦١ ـ

شعرنا الحديث



عبده بدوي

يمكن القول بأن كتاب « شعرنا الحديث الى أين ؟» من الخصوبة والاثارة بحيث يستحق ان تناقش فيه العديد من القضايا ، فغالي شكري يقدم كتابه في أرض تشبه الأرض الخراب لأنه ماأقل الكتب الجادة في هذا الموضوع ، ثم انه يتعرض للشعر من زاوية جديدة تماما، ويصدر أحكاما حاسمة من خلال المواقف التي يتخذها من هذا الشعر ، ثم انه ــ وهذا عمل طيب ــ يقدم صورة عامة للشعر في العالم العربي مع التركيز بصفة خاصة على شعراء مصر وسورية ولبنان .

وهو في كل هذا يسير مدججا بالعديد من النظريات النقدية بالاضافة الى ايديولوجية سياسية تصرخ بين الحين والحين ، ومعنى هذا انه قال كلمته بوضوح ، وان على الشعراء أنفسهم ان يتمزقوا مادام قد ألقى عليهم سيفا .. لا سلاما !

وابتداء فمنهج هذا الكتاب الصارخ ليس كنهج الكثيرين من اساتذة الجامعة الذين يتأنون في كل شيء والذين لايصلون الى الأحكام الا ببطء شديد ، ذلك لأن الناقد « غالي شكري » دخل الى هذا العالم وفي ذهنه ان يقلب الموازين ، ويعيد ترتيب عالم الشعر من جديد على أية صورة ومع ان هذا من حقه ، الا ان نقطة الضعف تكمن عنده في الدخول بمفاهيم مسبقة في الشعر العربي ، وبشعراء باعيانهم يعتقد من وجهة نظره أنهم ملح الأرض ، وهم في الواقع وراء الميوعة في فهم الشعر الأن ، ووراء نكسته الحقيقية ، فهم اهون على الشعر من هؤلاء التقليديين الذين كانت بدايتهم هي نفس النهاية ، والذين الف هذا الكتاب اساسا لتنحيتهم عن عالم الشعر !

وعلى كل فالناقد يرى ان الحداثة مفهوم حضاري وتصور جديد لحياة جديدة ، وبهذا تكون وظيفة الشعر ــ كما يقال ــ الكشف عن عالم يظل أبدا في حاجة الى الكشف ، وبهذا الفهم العميق لقضية الشعر يدخل الناقد الى عالم الشعر الحديث ... ولكن التطبيق يخونه لا في بعض الاحيان ولكن في كثير من الأحيان، وبخاصة حين يفتح أقواسا ثم يزج داخلها شعراء ، ثم يرسم دوائر ويحشد داخلها اتجاهات ونحن نلتمس للناقد العذر ذلك لأن طموحه كان اكبر من النماذج التي تحت يديه ، ولعله كان من الانصاف ان يدخل جنته بعض الشعراء الكبار الذين يكتبون الشعر في شكله المتوارث والمتطور معاً ، مادامت رؤياهم حديثة ، وما دام ينطبق عليهم فهمه للشعر ، ولكنه اراد ان ينحي تماماً كل الشعراء الذين لايكتبون بالطريقة الحديثة ، ومعنى هذا ان شكل « العروضة » كما يسيطر عليه الفهم العميق لقضية الشعر ، ومعنى هذا ان شعراء تتفوق رؤيتهم الحديثة كمحمود حسن اسماعيل ، والجواهري وشوقي بغدادي يجب ان يقيموا في المنفى في الوقت الذي توضع فيه التيجان على رؤوس وهمية !

وقد ترتب على هذا القصور في نظري ان انكسرت بعض الدوائر التي يقوم عليها الكتاب اساسا ، فمن غير المعقول ان التيار الأول في الشعر العربي والذي يقوم على اساس قومي يمثله شاعرة تعاطفت معه اخيرا

في عدد من القصائد ، صحيح انه يحكم على هذاالتيار بالبوار ، وانه يريد ان يجلد اصحاب هذا الاتجاه وبخاصة حين يومىء الى ان القدسية تختلف عن اولهم بالدين ، ولكن الذي نعتقده ان الشاعر الذي وقفعنده يعتبر دون هذا الاتجاه ، أما الشاعرة فأكبر من هذا الاتجاه بالمفهوم الذي حدده له ٠

ولقد كانتركيز غالي شكري الحقيقي في هذاالكتاب على ان الشعر الحديث ليس استنادا للشعر العربي ، فهو بجسمه ثمرة الاتصال الحميمة بالعالم الاوربي بصفة خاصة ، ومع ان هذا الكلام يبعد في جانب منه عن الموضوعية ، الا اني اريد ان اثبت له ـ وهذا هو المهم ـ ان كل هذا التجديد جاء به الشعر الحديثليس شيئا فذا في تاريخ التطور في الشعر العربي ، ومع ان غالي يذكر انكل شيء حدثفي المسيرة العربية كان « تجديدا الى حد ما » ولم يكن« جديدا » الا انيسأذكر له بالعكس تماما ، وابتداء سأترك النقط المضيئة التي يهرول اليها الكثيرون حين يتكلمون عن التجديد في الأندلس ، ذلك لأني سألجأ الى الأماكن التي يشاعان الثبات فيها كان سيد الواقف لادلل على ان الشعر الحديث لم يظهر شقاقه للشعر الا لأنه كانت هناك فترة تدهور ضارية الجذور ولادلل على ان علىا الحضارة العربيةلم تكنتلعب دورهاحتىجاءلويس عوض ومحمود العالم ونازك الملائكة وفي يد كل منهم « منافستو » على حد تعبير غالي شكري ٠

فهناك عدد من النصوص أخص منها « للشنفري » قدمه أحد المحققين الهنود ، ومن خلاله نستدل على انه استعمل « التفعيلة المنشقة » التي كانت جهد لويس عوض فيما بعد ٠٠ ولن يذكر احد ان الشنفري كان في بدايات الشعر العربي ، ذلك لأنهجاء فيرائعة نهار الشعر الجاهلي ، وبالاضافة الى هذا توجد نماذج للشعراء السود فيالشعر العربي ، وتوجد نماذجأعدت للغنين في الحجازبصفة خاصة «ومن خلالها ندركالقرب الحميم من « عروضة » الشعر الحديث ، وبخاصة حين اصبح تنفس الشاعر يقف اكثر من مرة داخل الشطر أو البيت ٠

فاذا جئنا الى العصر الأموي وجدنا خليفة منالخلفاء هو « الوليد بن يزيد » يدعو الى مانسميهالان بالتعرف على الواقع الاجتماعي ، فهو لم يتكلم عن أنية قصر ، كما قيل عن احد الخلفاء وانما تكلم عن هموم البسطاء من الناس ، ونظر الى الأشياء نظرة واقعية ،والوليد هذا هو الذيابتكر من غير جدال« الأزدواج »فيالشعر وليس بشار كما ذكر غالي ، فاذا اضفنا الى الوليد بن يزيد بعض شعراء ثورة الزنج وعلى رأسهم قائدها٠٠ ادركنا ان لنا ميراثا في هذا ٠٠ أي ميراث ، واذا كان لابد من تسمية لهذا الاتجاه في الشعر العربي فانها ستكون بلا شك القرب من روح الشعب في الشعر ٠

واذا أخذنا العصر العباسي مثلا فانا لن نسرع الى تجديد ابي نواس فتجديده محدود ، ولكن التجديد الحقيقي كان عند ابي العتاهية ، الذي قاد تيارالشعبية في الشعر ، ولنستمع الى صاحب الأغاني يقول « وله اشعار لاتدخل في العروض » معنى هذا انه اقترب من قصيدة النثر ، كما ذكر صاحب الأغاني « وله اوزان طريفة قالها مما لم يتقدم فيها الأوائل » كما انه أتى في شعره بالمزدوج في القصيدةالمسماة « ذات الأمثال»، وابتكر وزناً ـ كما ذكر ابن المعتز ـ على ايقاع مدقة « مبيض الثياب » ، بل ان بعضهم قد اسقط القافية تماما ، وهناك أمثلة على هذا في العمدة لابن رشيق ، واعجاز القرآن للباقلاني ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ٠

والان هل وصل المجددون المعاصرون الى أكثر مما وصل اليه هؤلاء الذين ننظر في وجوههم بغضب ؟ وفي المنطقة التي يشاع عنها انها منطقة الثبات ؟ ٠٠ ان ماأريد ان أقوله انه سواء أكانت هذه الحركة برمتها تنتمي الى الحضارة الغربية كما يريد النقاد أن نقول، أو تنتمي الى جانب من التراث العربي كما يجب ان نقول ، فان الذي لاشك فيه انه كانت هناك حركات تجديد وحركات جديدة في التراثاشع منها واروع٠

وقد يأتي سؤال يقول : ولماذا كانت حركاتالتجديد هذه تحاصر ، ولا تنداح ؟ والجواب ا النقاد كانوا في الغالب من المحافظين ومن العاملين على اجهاض هذه

الحركات التي كان بعضها لايتحرك وانما يقفز ، ولهذا اقتصر جهدهم على رصد الظواهر التي ترضي الأذواق الثابتة ، وصمتوا عن عمليات الغليان التي كان يزدحم بها قلب الشعر !

وانطلاقا من دور النقاد هذا ننتهي الى اهم نقطة في كتاب غالي وهي ان النقاد هم الذين شقوا للجديد طريقا ، وهم العلامات التي تقود الى مناخ الشعر الحديث ، فنحن نؤمن ان الجديد كان يأتي دائما على يد الشعراء الحقيقيين ،أما النقاد الذين ليس لهم اسهام حقيقي في ابداع الشعر ، فكل ماقالوه اصبح هباء أو معوقا للحركة الشعرية ، ذلك لأن الشعر في نظرهم كان مطية تركب لتأكيد مرحلة من المراحل لغرض من الأغراض ، ثم يترك ليتحول في عالم من الضياع ·

ولكي نفهم هذه الحقيقة تماما نذكر ان غالي شكري يبدأ فيضع « على احمد باكثير » و « فريد ابو حديد » على الرف ، بدعوى انهما لايجسدان قضية الحداثة في الشعر ، ثم يذكر لنا ان « المنافستو » الأول للشعر الحديث كان كتاب « بلوتولاند » للدكتور لويس عوض الذي صدر عام ١٩٤٧ ، وهو ليحكم وضع الراية في يد الدكتور لويس عوض ، يذكر ان تاريخ كتابة القصائد يرجع الى عامي ١٩٤٨ ، ١٩٤٠ ثم يقول : « أي انها تسبق كافة الارهاصات والبدايات التي يشار اليها اكاديميا بأنها الأصول الباكرة لحركة الشعر الحديث » ، وكأنه لايدري ان هذه البدايات قد صدرت مع ذلك قبل عام ١٩٣٧ ، واننا لو رجعنا عشر سنوات عن تاريخ النشر – كما فعل – لكان التاريخ هو ١٩٢٧·

وعلى كل فغالي يرى ان هذا الكتيب أعطى الشاعر حقه في التجريب ، وان العمود الخليلي اذا كان قد كسر في الاندلس فان الدكتور لويس اجهز عليه ، كما أنه كسر في الوقت نفسه عمود اللغة ، ورفض المبدأ القائل بوجود قيم نهائية في الشعر ، كما غرس المفهوم المضاد للمطلق الموسيقي في الشعر ، واضاف مفهوما للقصة يخالف مفهوم عمر بن ابي ربيعة ، بالاضافة الى خاصية الانسياب ·

ومع انه يقال ان هذا الكلام قد قام على محاربة المطلق الا انه من الوضح انه لايعتمد الا على المطلق فمع أن كل الشعراء الاذكياء قد عاشوا عصرهم وبعضهم سبقه ، ومع اننا لا نسلم بوجود كل هذه القائمة المطلقة عند الدكتور لويس ، الا ان ما يريده المؤلف يمكن الاستدلال عليه ، وبموضوعية تامة من خلال الشعراء الصعاليك ، ومن خلال الشعراء الأغربة ·· بل اننا نذهب أكثر من ذلك الى القول بأن تجارب الدكتور لويس ليست من الشعر الجديد في شيء ، فالكتيب كان محدود العدوى ، ويسير في ظلال الموشحات الأندلسية ، ويتتبع في الوقت نفسه طريق الزخرفة متنكبا روح التيسير والتبسيط التي كان يتجه اليها الشعر الحديث ، ولقد اعتمد على الشكل الهرمي المنسق ، ولقد راوح بين القوافي متأثرا بالشعر الانجليزي ومن هنا فهو لم يجعل عروضته التفعلية، ولهذا يكون « علي احمد باكثير » سابقا – وبحسم – الى الاهتداء اليها في ترجمته لروميو وجولييت ،ويكون « محمد فريد ابو حديد » قد تأثر بعلي احمد باكثير كذلك في ما كتب وما صدر بعد اعمال باكثير ، اما الاعمال السابقة لابي حديد فكانت تعتمد اساسا على النظام الشطري ·

ومن المعروف ان كثيرا من هذه الاعمال لم تكن مترجمة فقط حتى يقال ان هذا الجديد كان الدافع الوحيد اليه هو الترجمة ، ذلك لاننا راينا في اعمال هؤلاء الرواد اعمالا غير مترجمة مثل اخناتون ونفرتيتي ، ومثل الوطن الاكبر التي لم تنشر الى الان لباكثير ، بالاضافة الى مقتل عثمان لابي حديد ·

معنى هذا ان اعمال الدكتور لويس ليست من الشعر الحديث في الشعر ، وانها سبقت بأعمال كثيرة ناضجة وتعتمد اساسا على التفعيلة ·

ولقد نبه الشاعر العراقي هلال ناجي ففعل في هذه القضية مبكرا حين أثير ان الشعر الحديث اصله سيابي او نازكي ، فكان ان قال : الحق ان اصله باكثيري ، ثم ان هناك كتابات بين السياب وباكثير ، وفي هذه الكتابات ذكر السياب انه انتفع بأعمال

باكثير · ولقد كان من الغريب حقا ان يصرخ الدكتور محمد النويهي بهذا الادعاء الذي يقول انه يرى ان يسمى الشعر الحديث « الشعر المنطلق » ولقد ذكر الكثيرون له هذا ، ومنهم غالي وكأن احدا لايعرف ان هذا المصطلح صاحبه علي احمد باكثير وانه موجود ببنط عريض في مقدمة « اخناتون ونفرتيتي » ·

■

فاذا انتقلنا الى المنافستو الثاني ، وجدنا انه يقصد به المقال الذي كتبه محمود امين العالم ، وهو يسميه مقالا تاريخيا ، ثم يذكر ان هذا المقال التاريخي يعتمد على ركيزتين اولاهما : ان الشعر يعتبر صدى وانعكاسا للواقع السياسي ، وان الشكل الجديد هو المنقذ للشعر ، وما دام هذا المقال يقدم هاتين المفعولتين فقط ، فانا نترك ادانته لغالي نفسه حين يقول تعليقا على قول محمود امين العالم عام ١٩٦٦ · « انا اصلي من اجل رؤية شعرية جديدة ، انا لا احس بضرورة ما اقرأ من شعر الشعراء في بلادي في هذه الايام » يقول غالي « لعل محمود يشعر بفداحة المسؤولية فهذا الجيل هو حصاده البكر ! » ·

اما المنافستو الثالث بعد كتيب لويس عوض ومقال محمود العالم ، فقد كان في نظره كتاب «قضايا الشعر المعاصر ، لنازك الملائكة ، ولكنه لايقوم وجهة نظرها الصحيحة في الكتاب ، وانما يعذرها ويكاد يأخذ بخناقها في كل مكان يأتي فيه اسمها ثم يقول « وبينما ارادت له ان يكون منافستو نظري للشعر الحر فانه في الواقع جاء متأخرا عندما دخل هذا الشعر مرحلة الذبول والشيخوخة ، واضحى الكتاب قريبا من اللحن الجنائزي الذي يصوغ النهاية التي ادعوها بالسلفية الجديدة » ·

وقد كنت احب لغالي ان يضع مكان هذا الكتاب او بالاضافة اليه مقدمة نازك لديوان شظايا ورماد ففي مقدمة هذا الديوان الطويل ثورتها الحقيقية ، ورؤيتها الحديثة ، واسهامها الرائد في مجال الحداثة في الشعر ·· فعلى مائدة هذه المقدمة جلس الكثيرون واخذوا نصيبهم وثرثروا حول ما جاء فيها ·

من كل هذا يظهر انه خلال التراث العربي كانت توجد قفزات في الشعر ، وان الشعر الحديث لم يكن مقطوع الصلة بمسيرة الشعر العربي ، وان حركة الشعر الحديث ليس اخر المطاف في حركة الشعر العربي ، اما محاولة اثبات ان اول ثور حقيقية في الشعر العربي كانت ثورة الدكتور لويس فشيء لايتفق والحقيقة في شيء ، فمحاولاته اساسا ليست من الشعر الحديث في شيء ، فهي تفريع رديء على بعض الموشحات الاندلسية وهي اقتباس لنظام المراوحة في التقفية ، وهي قد جاءت متأخرة عن تجارب متكاملة ، ثم ان الذين اثبتوا جدارتهم في تجديد الشعر العربي كانوا اساسا من الشعراء الذين لهم دور في حركة الشعر ·· اما شعر الدكتور لويس فشيء ساقط وركيك وضيع وهو نفسه لاينكر هذا ؟ ولا ينكر ان رؤيته في اشعاره متخلفة ورديئة !

فاذا وصلنا الى المنافستو الثاني وجدنا غالي يدينه!

واذا انتهينا الى المنافستو الثالث وجدناه يدينه كذلك ولكن بعنف غير موضوعي ، ويؤكد في الوقت نفسه ان صاحبته تهرول الى حافة ·· اللاوجود الشعري ··

وبالصورة الخاطئة التي يعتمد عليها الكتاب اساسا ، والتي تقوم على دوائر لا تنطبق على اصحابها وتعلق اوسمة على فراغ ·· يكون الشعر في محنة حقيقية ، ويكون لا أمل للخروج من هذه المحنة ، ولكن الناقد قد يغطي هذا بالهتاف للبعض الى حد الصراخ ، وبالضغط على البعض الى حد القتل ، ومع هذا فالكتاب يكون في اساسه قد انطلق من محاور صحيحة في الغالب ، الا انه حين اراد ان يطبق ، وحين اراد ان يجامل او يهز البعض بدون مبرر يكون قد فقد جانبا كبيرا من الموضوعية ·· ومن الحق !

وعلى الرغم من هذه النواقص فانه يبقى في مقدمة ماكتب عن الشعر الحديث ، وبخاصة ماكتبه الدكتور محمد النويهي ، وجليل كمال الدين ففي الكتاب طموح لمحاولة امساك حركة الشعر الحديث ، وفيه استيعاب لمحاولات العديد من شعراء العالم العربي ، وفيه هذا الاصرار على ان يقول شيئا بعينه ما دام يعتقده ، ثم اخيرا فيه انه يرتاد عالما يهرب منه الكثيرون وبخاصة اساتذة الجامعات ، وفوق هذا العالم يركز بحسم راية ·· اية راية ؟·

القاهرة ـ عبده بدوي

تشيكوسلوفاكيا
قوة صناعية عالمية كبيرة

منذ أكثر من نصف قرن ، تشكل الامكانية الصناعية لجمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية عنصرا دائماوهاما للتجارة العالمية ونجاحات المنتجات الصناعية التشيكوسلوفاكية في الاسواق العالمية لم تكتسب بطريقة عرضية . فالمستوى العالي للانتاج مكفول كفالة ثابتة من قبل الخبرة التي تعود الى أوائل الثورة الصناعية الاولى كما ومن قبل مبادىء توجيه الاقتصاد الاشتراكي التي تتيح نفعا فعالا وقويا لموارد البلاد المادية وللتقدم التقني والفكري للمنتجين ـ العمال والفنيين والمنظمين والعلماء .

وفي تشيكوسلوفاكيا الحالية، تشكل الصناعة فرعا موجها للاقتصاد الوطني . فهي تساهم في خلق دخل قوي يزيد عن ٧٠٪ . وخلال السنوات الخمس وعشرين الاخيرة ، سجلت الصناعات الميكانيكية ، وهي القسم الرئيسي الاكثر فعالية من الصناعة التشيكوسلوفاكية ، الزيادة الاسرع . وقد ادخلت في نفس الوقت تبديلا نوعيا هاما وحصلت على قاعدة واسعة قوية علمية وخاصة بالبحوث العلمية . وتظهر التجديدات التي قدمتها الصناعات الميكانيكية التشيكوسلوفاكية عمليا كل يوم وهي : استخدام المواد الجديدة ، وتخفيف الصناعات، وادخال نظام الحركة الذاتية الاكثر كمالا في الالات ذات الاستعمال الفريد ، والطلب عن طريق برنامج له رموز لمجموعات التوظيف الاكثر أهمية كما وللاختراعات الثورية ، مثل آلة النسيج النافورية التي بدأت عصرا جديدا لصناعة النسيج .

ويصدر أكثر من نصف الالات ـ العدد المصنوعة في تشيكوسلوفاكيا فالشاحنات القوية . ماركة تاترا التي ارتفع انتاجها خلال السنوات الاخيرة بفضل مساعدة مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة للتمكن من ارضاء جميع المهتمين مفضلة جدا عادة . ومعامل زافودي ف.ي لينينا في بلزن (سكودا) وزانودي فيتيز نيهوا اوتورا في هراديك كرالوفي تورد مجموعات التوظيف التالية وهي : تراكيب المراكز الكهربائية ، ومصافي البترول الخام ، ومعامل سكر ، ومعامل جعة ، وخطوط لصنع السجائر ، وتراكيب الصناعات التعدينية والكيميائية . والاسواق العالمية تحبذ أيضا محركات الاحتراق ديزل، وطائرات الرياضة ، والات البناء والجرافات النهرية ، والقوارب النهرية والات النسيج ، والالات الاسكافية ، وتراكيب القياس ، ومنتجات المواصلات ، والمحركات الكهربائية ومجموعة منسقة غنية من المنتجات الكهربائية التقنية ، ومفرمات ماركة سيغما ، وأدوات نقل ، والات زراعية وغيرها .

وفيما يتعلق بنصيب الانتاج الميكانيكي للفرد الواحد من السكان ، تشغل تشيكوسلوفاكيا منذ زمن طويل جدا واحدا من المراكز الاولى في العالم ، فمن طريق الانتاج الميكانيكي تعد من بين القوى العشر الكبرى في العالم . وهذا المركز يتحسن بلا انقطاع ، وخاصة خلال السنوات الاخيرة عندما حدث تجديد وتحديث اسرع بكثير من التنسيق المقدم في الاسواق العالمية عن طريق التكامل والتعاون المنتشرين في اطار بلدان مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة .

من الواضح ان الصناعات الميكانيكية ليست هي المصدر الوحيد للصادرات التشيكوسلوفاكية والعامل الوحيد للتوازن والصفة الحديثة للاقتصاد التشيكوسلوفاكي الوطني . وينسب رجال الاقتصاد حديثا دور القوة الدافعة للاقتصاد الحديث الى الصناعة الكيميائية ان الاكتشافات الثورية والامكانيات المحدودة للصناعة الكيميائية لجعل جميع نشاطات الانتاج أكثر فعالية يخولهم للوصول الى مثل هذه النتيجة . وليس نصيب الصناعة الكيميائية التشيكوسلوفاكية في خلق الدخل القومي كبيرا مثل نصيب الصناعات الميكانيكية لكن هذا لايعني أن أهميتها تنال تقديرا أقل من الواقع . تشيكوسلوفاكيا لها ثلاثة تقاليد غنية أيضا في هذا النوع ، وخاصة في الكيمياء الصناعية المسماة الثقيلة وفي انتاج الاسمدة الاصطناعية للزراعة . فالطور النسبي لمخطط الاقتصاد الوطني والتعاون مع بلدان المعسكر الاشتراكي قد أتاحا ايجاد مصادر للمواد الاولية والوسائل الضرورية لما تشغله الكيمياء في التركيب الفعلي للاقتصاد التشيكوسلوفاكي من مكانة تخصها بحق . وفي ان واحد مع تحديث المنتجات الكيميائية التقليدية حدثت أيضا اقامة ذات شأن للمعامل المختلطة ، وهي متطلبة من الناحية التقنية ومن وجهة نظر التوظيفات والتي تشكل في هذه الايام قاعدة واسعة للكيمياء الحديثة تتجه نحو صناعة المواد الجديدة ونحو استخدامها ، ونحو تحقيق أعمال الصنع الكيميائي ، وذلك يعني مرحلة جديدة في الاقتصاد الاجتماعي . وقد وجدت المواد البلاستيكية تطبيقها في جميع فروع الانتاج والاستهلاك . ان وفرة الالياف الاصطناعية تسهل استعمالها حتى خارج صناعة النسيج ، والكيمياء قد أتاحت زيادة وتحسين نوعية الانتاج التقليدي للورق كما والتطور الضخم لصناعة الادوية غير التقليدية . وأصبح عديد من عمليات الصنع والتوفيقات النهائية ممكنا بفضل الاكتشافات الكيميائية فحسب .

ان شيميكي زافودي في زيلوزي قرب موشت هي المصانع الكيميائية المختلطة ذات الشأن الاعظم في تشيكوسلوفاكيا . وهي تستفيد من الاحتياطات الفنية من اللينيت من المناطق المجاورة كما ومن البترول السوفييتي الخام الاتي عن طريق اوليوديك . فالبترول الخام قد جعل بالامكان ولادة مجموعة من المعامل المختلطة البيتروكيميائية بالقرب من براتيسلافيا في سلوفاكيا والاسمدة الصناعية التي توفر المردودات الكبيرة للزراعة التشيكوسلوفاكية تصنع من قبل بعض المعامل المختلطة الجديدة او التي جرى تحديثها . وجميع معامل الانتاج ومعالجة المواد البلاستيكية جديدة ، مثل المعامل الاخرى التي تحدد تنسيق الصناعة الكيميائية من أجل احتياجات السوق المحلية والاجنبية .

وهذا ليس فقط بفضل الصناعات الميكانيكية والكيمياء .

وتعد تشيكوسلوفاكيا بحق من بين أكبر القوى الصناعية العالمية ،